

ردود السّادة التّجانيّين على افتراءات المنكّرين

إعداد د. أبو عركي الشيخ عبد القادر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين القائل: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا}، والصلاة والسلام على نبيه الفاتح الخاتم القائل: "أَنْصُرُ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا". (متفق عليه). أمّا بعد، فإنّ الإنكار على الحقّ وأهله سنّةٌ جاريةٌ وعادةٌ ماضيةٌ منذ أن خلق الله - تعالى - الخليقة؛ فقد أنكر على المولى تعالى، وعلى رسله عليهم السلام، وعلى عباده الصّالحين - رضي الله عنهم -، فكان لسيدنا ختم الأولياء مولانا الشيخ أحمد بن محمد التّجانيّ - رضي الله عنه - وأهل طريقتة نصيبٌ وافر من هذا الإنكار من جهة الخصوم والأعداء، فصاروا يردّون مسائل بعينها ينسبونها إلى الطريقة باعتبارها أموراً منكراً، فبدأ الإنكار منذ زمن الشيخ - رضي الله عنه -، ثمّ استمرّ إلى وقتنا هذا، تارةً في شكل كتيّبات، وتارةً في شكل مقالات صحفّية، وتارةً من خلال وسائل التواصل الحديثة وغيرها، بعضها من قبيل الحسد، وبعضها من قبيل المكابرة، وأخرى من نوع الجهل المركّب، ولم تخلُ جميعها من الكذب أو البهتان أو التدليس، مع أنّ أهل الطريقة لم يسكتوا على ذلك بل ردّوا أحسن الردود، لكن الغرض والكيد والحقد ظلّ يدفع المعتدين لترديد تلك المسائل والهجوم على أهل الطريقة، وأبى الله إلا أن يزداد انتشار الطريقة كلما ازداد الإنكار.

ولست هنا بصدد ذكر جميع المسائل التي أوردوها، ولا بصدد الردّ على المسائل، لكنني أورد أسماء كثيرٍ من مؤلّفات السّادة التّجانيّين في الردود يمكن الرجوع إليها

عند الحاجة ففيها الغنية، وليست هي كلّ الردود الموجودة في السّاحة، بل هناك غيرها مما لم أثبتته هنا، أو لم ير التّور بعد، أو لم أقف عليه، وفي البال استخراج ردّ جامعٍ معتمِدٍ على هذه الردود التي صنّفها أئمة الطريق إن شاء الله - تعالى -،
 وأسوق هنا الشّكر والدعاء بالخير للأخ الشريف محمد الراضي كنون الذي وقّعه الله تعالى لخدمة الطريقة في هذا العصر بإيداع كثير من مؤلّفاتهما على شبكة الإنترنت (المكتبة السّكّريّة التجانيّة) فقد بلغ عدد الكتب التي ذكرها مما ألفه التّجانيّون ٧٤٨ كتاباً، وبالطّبع هناك غيرها من المطبوعات والمخطوطات، كما أعيّد له الثناء والعرفان لما بذله من جهد في تحقيق كتاب (جواهر المعاني) من خلال رجوعه لأكثر من عشر نُسخ - جزاه الله خيراً -.

مُجْمَلُ اعْتِراضات المنكرين

بيّن علماء الطريقة أنّ الاعتراضاتِ منحصرةٌ في أمور، منها:

- ١ - كذبٌ وافتراءٌ على الشيخ - رضي الله عنه - كمسألة الإخار الورد له، وكون صلاة الفاتح من القرآن.
- ٢ - تزوير وتدليس بعدم إتمام النّصّ المنقول عن الشيخ - رضي الله عنه - كما يفعل من يقول: "لا تقربوا الصّلاة" ويترك قوله: "وأنتم سُكّارى". مثل ما نقلوه عن الشيخ - رضي الله عنه -: "صاحبي لا تأكله النّار ولو قتل سبعين نفساً، وتركوا تمام القول وهو: "إذا تاب بعدها".
- ٣ - كلامٌ حملوه على ما ينكره جميع أهل الطريقة.

- ٤ - أمور لا تخصّ التجانيّين وحدهم، بل هي من مسائل تصوّف عمومياً، أو أهل السنّة والجماعة، أو مسائل الاجتهاد والخلاف بين الفقهاء.
- ٥ - أمور من المبشّرات التي لم تحملها عقول ونفوس المنكرين ناسين أنّ الفضل بيد الله يؤتية من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.
- ٦ - مسائل وردت في بعض كتب التجانيّين تخصّهم هم وتنسب إليهم لا إلى الطريقة، يُعتَبَر منها ما تقبله أصول الشريعة، وتعاليم الطريقة، وما لا فلا.

مجموعة من كتب الردود على المنكرين

مرتبّة على حروف معجم السادة المؤلّفين

● إبراهيم انياس الكوخي.

(١) البدور السطّع شرح المرهفات القطّع.

● إبراهيم الرّياحي.

(١) مِبْرَد الصّوارم والأسنّة في الردّ على من أخرج الشيخ التجاني عن دائرة أهل السنة.

● إبراهيم صالح الحسينيّ.

- (١) التكفير أخطر بدعة تهدّد الإسلام والمسلمين في نيجيريا.
- (٢) كشف الغموض وإزالة الإلباس في الإجابة على أسئلة الشيخ إلياس.
- (٣) المغير على شبهات أهل الأهواء وأكاذيب المنكر على كتاب التكفير.

● ابن أنبوجة:

(١) رحلة التّهاني في حلية الشّيح التّجانيّ.

● ابن بسّام التّجانيّ التماسيني:

(١) رد على ابن باديس. (ذكره الأستاذ أحمد الأزمي).

● ابن المطماطية، محمود بن أحمد القسنطيني:

(١) أنياب القسورة، لكسر عظام من حرّف الجوهرة.

(٢) دلائل الحق المتينة، في الرد على من أنكر طريقنا بقسنطينة.

(٣) قبلة الشاب، في نحر من حرّف جوهرة سيد الأقطاب. (هل هو الأوّل؟).

● أبو ظاهر المغربيّ التّجانيّ:

(١) إفحام الخصم المُلِدّ بالدفاع عن الشّيح الممدّ.

● أبوعركي الشّيح عبد القادر:

(١) الصّارم الخطّاف على راقم السّم الرّعاف.

(٢) ردود السادة التّجانيين على افتراءات المنكرين.

● أبوي أحمد بن الشّريف المختار:

(١) الفتح الرّبّانيّ، في براءة الشّيح التّجانيّ.

● الأحسن البعقليّ:

(١) إجمام الجهال، بألسنة السنة الكمال (رد به على ابن الموقت المراكشي).

(٢) تريباق القلوب. (ذكره الأستاذ أحمد الأزمي).

● أحمد البشير الطيب السوداني:

(١) الرد المستبين، في دحض افتراءات محبِّ الدين.

● أحمد بن إسماعيل الولي:

(١) قرّة عين من هو مطالب بالرد عن هؤلاء الذين يتهجمون على العارف بالله التجاني.

(٢) كفاية العاني لردّ المعترض على العارف التّجانيّ.

● أحمد بن الأمين الشنقيطي:

(١) دَرءُ الجاني، عن حمى الشيخ سيدي أحمد التجاني.

(٢) الرد المحكم، على منكر الأسقم.

● أحمد بن حماد الداودي الولاقي:

(١) بلوغ الأمان، في نصرة مولانا أحمد بن محمد التجاني، والردّ على مشتهدى الخارف الجاني.

● أحمد بن محمد بن عبد الله العلوي الشنقيطي:

(١) الدّرْع والمغفر، في الرد عن الشيخ عمر.

(٢) العضب اليماني.

● أحمد بن الهادي العلوي الشنقيطي:

(١) منتهى السيل الجارف.

● أحمد سالم كريم القحطاني:

(١) الحُجَّةُ الْمُؤْتَاةُ فِي الرَّدِّ عَلَى صَاحِبِ كِتَابِ: إِلَى التَّصَوُّفِ يَا عِبَادَ اللَّهِ.

● أحمد سكينج الأنصاري الخزرجي: (وهو من أكثر خلفاء الشيخ - رضي

الله عنه - رداً على المنكرين).

(١) إحقاق الحق.

(٢) الإيمان الصحيح، في الرد على مؤلف الجواب الصريح.

(٣) تجريد أسئلة الشيخ سيدي محمد الكتاني. (ذكره الأزمي).

(٤) جنابة المنتسب العاني بما نسبته بالكذب للشيخ التجاني.

(٥) الحق المبين في انتصار التجانيين على علماء القرويين.

(٦) زوال الحيرة بقاطع البرهان، بالجواب عما نشرته جريدة الزهرة تحت عنوان

أين حماة القرآن.

(٧) سبيل الرشاد، في المحاورة بين ذوي الاعتقاد والانتقاد.

(٨) السر الرباني، في رد ترهات ابن مايبي العاني، التي تبجح بها في تأليفه

مشتهى الخارف الجاني (لا يزال الكراسان الثاني والثالث غير مكتوبين).

(٩) الصراط المستقيم، في الرد على مؤلف المنهج القويم.

(١٠) الفيوضات العرفانية، في الرد على الإفريقي مؤلف الأنوار الرحمانية.

(١١) قافية اللآلي، في الرد على المدعو تقي الدين الهلالي.

(١٢) قرّة العين في الردّ على أسئلة مؤلف خبيثة الكون. (الأزمي).

- (١٣) القطوف الدّانية بشرح الجامعة العرفانية. (الأزمي).
- (١٤) القول المصيب في بيان ما خفي على محب الدين الخطيب.
- (١٥) كشف البلوى، في رد الفتوى المنشورة بمجلة التقوى.
- (١٦) نصيحة الإخوان في سائر البلدان. (أرجوزة، تعرض فيها لكل المواضيع التي تشكّل نقاط خلاف مع الخصوم). (الأزمي).

● أحمد الصابوني:

- (١) المدد الرباني، في نصرة الشيخ سيدي أحمد التجاني.

● ألفا هاشم:

- (١) الأجوبة البهيّة في المسائل الجليّة.
- (٢) الأجوبة الهاشمية، عن الأسئلة المدنية.
- (٣) سلاح التجانيين، في الرد على المعترضين. (هل هي كتاب واحد تعدّدت أسماؤه؟ فقد وقفتُ على الأجوبة البهيّة، ونُشر مرّةً في السودان باسم سلاح التجانيين، والأجوبة المدنيّة مذكورة في عدد من المؤلّفات).

● بكري العوني:

- (١) الردّ على المنكرين.

● بنعمر بن سيدي محمد الكبير التجاني:

- (١) الجواب الواضح.

● جماعة من الأساتذة:

(١) تُرَّهات الرِّمزي.

● الحاج الحسين الإفرائي:

(١) قمع المعارض المفتري الفتان، فيمن نسب ما لا ينبغي لأهل الفضل من البهتان.

(٢) كشف الغطاء، فيمن تكلم في الشيخ التجاني بالخطا.

● الحاج مالك بن عثمان سي:

(١) تأليف في الرد على منكر لفظ الأسقم.

(٢) تأليف في الرد على بعض المنكرين على الطريقة التجانية.

● حسين حسن الطماوي المصري:

(١) أقوى الأدلة والبراهين. (أضواء على الشيخ التجاني ودعوته).

(٢) السيف الصقيل الرباني، في نقض مشتى الخارف الجاني.

(٣) المورد الرِّحمانى في رد حصول الأمانى. (ذكره الأزمى).

● خديجة بنت الشيخ أحمد فال الشنقيطي:

(١) السيف اليماني، في الذَّبِّ عن سيدي أحمد التجاني.

(٢) هدم مشتى الخارف الجاني من الأساس، وقطع دابره من أيدي الناس، ما عدا الحسودَ وفاقدَ الإحساس.

● راشد بن إبراهيم المريخي:

(١) إعلام النبيل.

● صلاح الدين حسن التجاني:

(١) جلاء القتام وكشف الظلام.

● طالب عبد الرحمن:

(١) الطريقة التجانية في ضوء الشريعة الإسلامية.

● عبد الباقي مفتاح:

(١) أضواء على الشيخ التجاني وأتباعه. (ضمّنه ذكر الانتقادات على الطريقة).

● عبد الحفيظ العلوي (مولاي السلطان عبد الحفيظ العلوي):

(١) إعلام الأكياس، بما وقع من التخليط والالتباس.

(٢) زجر المعتدي على الجناب الأحمدي. (ذكره الأزمي).

(٣) نحر الجزور. (ذكره الأزمي).

(٤) نفثة مصدر.

● عبد الله بن محمد المشري الشنقيطي:

(١) إنذار وإفادة إلى بائع دينه بشهادة.

● عبد الله التجاني الإبراهيمي:

(١) الردود حول افتراءات محمد بن الأنصاري على الطريقة التجانية.

● عبد الواحد بن عبد الله:

(١) الحجة الواضحة البرهان، في أن العارف التجاني لم يفضل الفاتح على القرآن.

● عبيدة الشنقيطي:

(١) سيف النجاة والفداء، في قطع أعناق البغاة والعدا.

● العروسي بن عبد الله:

(١) تقييد في الدفاع عن الطريقة التجانية ونصرة الفقيه سيدي محمد فتحا النظيفي.

● عمر بن قدور الجزائري:

(١) الإبداء والإعادة في مسلك طريق السعادة.

● عمر بن محمد الحوصي:

(١) تقييد في الرد على أحمد البكاي.

● عمر بن المدني:

(١) النصر الواضح في الذبّ عن مؤلف الطيّب الفائح.

● عمر الفوتي:

(١) جواب على أسئلة محمد الكانمي. (ذكره الأزمي).

(٢) رماح حزب الرحيم على نحو حزب الرحيم.

٣) سيوف السعيد المعتقد، في أهل الله كالتجاني، على رقبة الشقي الطريد،
المنتقد الجاني.

● عمر مسعود:

- ١) بحوث المستشرقين في الطريقة التجانية ما لها وما عليها.
- ٢) دفاع عن التجانيين.
- ٣) الرد على الإفريقي.
- ٤) رد المعتدي.
- ٥) الرد على الطنطاوي.

● القاضي السنغالي:

- ١) الأجوبة الحسينية.

● محمد اعمر:

- ١) دفاع المستميت المتفاني، عن حرم ختم الأولياء التجاني.

● محمد أكنسوس:

- ١) الجواب المسكت، في الرد على من تكلم في طريقة الإمام التجاني بلا
تثبت.

- ٢) الحلل الزنجفورية، في الجواب عن الأسئلة الطيفورية.

● محمد الأمين بن أحمد العلوي الشنقيطي:

- ١) الجواب المقنع، في شرح المرهفات القطع.

● محمد بن عبد الله بن حسن الشافعي الطصفاوي:

(١) الفتح الربّاني في ما يحتاج إليه المرید التجاني. (تعرض فيه في الباب الثاني للرد على بعض المعتضين). (الأزمي).

● محمد بن عبد الله التناي التفكعي:

(١) السيف المسلول، على من أنكر في اليقظة رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم.

● محمد بن عبد الله الرباطي:

(١) الصراط المستقيم. (ذكره الأزمي في كتابه الطريقة التجانيّ في المغرب والسودان الغربي).

● محمد بن محمد بن عبد السلام كنون:

(١) الدرّ المنظوم في نصرة القطب المكتوم.
(٢) رفع العتاب عن من منع الزيارة من الأحباب. (ذكره الأزمي).
(٣) النطق المفهوم في حل مشكلات الدر المنظوم. (ذكره الأزمي).

● محمد بن المشري:

(١) نصرة الشرفاء، في الرد على أهل الجفاء.

● محمد الحافظ التجاني:

(١) الانتصاف (الرسالة الثالثة).
(٢) إعلان الحجّة على أعداء الطريقة التجانية. (الرسالة الخامسة).

(٣) براءة الطريقة التجانية.

(٤) تعليقات على كتاب الإفادة الأحمدية.

(٥) رد أكاذيب المفترين على أهل اليقين.

● محمد الخليفة انياس الكوخي:

(١) المرهفات القُطَّع، إلى محمد الخضر أخي التنطُّع.

(٢) الجيوش الطُّع بشرح المرهفات القُطَّع.

● محمد الصغير الشنقيطي:

(١) الجيش الكفيل بأخذ النار، ممن سل على الشيخ التجاني سيف الإنكار.

(٢) سرية الحق والانتصار، والذَّبُّ عن أولياء الله الأخيار.

● محمد فال أباه بن عبد الله العلوي:

(١) رشق السهام، في ما في كلام المنكر على الشيخ التجاني من الأغلاط والأوهام.

● محمد العربي بن إدريس العلمي اللحياني:

(١) الأخذ بالنار، ممن تجاسر على هتك الحمى وهو حمار.

(٢) رسالة الترغيب والترهيب. (ذكره الأزمي).

● محمد العربي بن السائح:

(١) الجواب الكافي.

● محمد المختار بن محمد يحيى الولاقي الشنقيطي:

(١) مسرة الإخوان، في الذبِّ عن أولياء الرحمن.

● محمد المختار الداودي الولاقي الشنقيطي:

(١) سرية كتائب الردود، على هدم أكاذيب الحُضِرِ المطرود.

● محمد مناشو:

(١) قمع التعصب (فتح الأبصار).

● محمود الفرطوي:

(١) السهم المرسل.

● المختار بن وديعة الله الماسني:

(١) تأييدات ربائفة للجماعة التجانية.

(٢) تباكيات البكاي.

● مرزوق بن الحسن الأمدرماني:

(١) البائفة. (ذكره الأزمي).

● مريم السالمة:

(١) ردع الجاني.

● مكي عبد الله التجاني التشادي:

(١) سبل السلام في الدفاع عن طريق السادة الصوفية الكرام.

• الميموني:

(١) صلاة الفاتح بين المعتقد والمنتقد.

• يوسف وديعة الله صامباً السوداني:

(١) ضياء النهار، لإبطال شبه الأنوار.

• رسائل ومقالات صحفية ودواوين كثيرة اشتملت على ردود على

المنكرين.

فهذه أكثر من ١١٨ مؤلفاً كلها في الردود كانت كافية لمن أراد الحق، فقد تبين من خلالها لكل منصف أن الشيخ - رضي الله عنه - وأتباعه بعيدون عن كل ما ألصقه بهم هؤلاء من تهم مغرصة.

الرد عليهم

من خلال كلام الشيخ رضي الله عنه

معلوم من سيرة الشيخ - رضي الله عنه - التي أوردها أهل عصره من أتباعه وغيرهم من المؤرخين والمنصفين أنه كان آيةً في العلوم كلها، حافظاً للقرآن، عارفاً بسنة أكمل إنسان، فقيهاً أصولياً مجتهداً، مشاركاً في العلوم العقلية والتقليية، عارفاً بدروب التربية والترقية وكل الأمور الروحية في السلوك إلى الله تعالى، كسأه الله تعالى لباس التقوى منذ نشأته محفوظاً مكرماً، عديم التظير، وكل ذلك كان يجب أن يكون كافياً لمن أراد انتقاده، بل كان يلزمه أن يتوقف ألف مرة قبل أن يتكلم بينت شقة في حقه رضي الله عنه، كما أنه قد ورد ضمن الكتب التي نقلوا من خلالها

اعتراضاتهم ما يكفي في ردعهم وتبيين مقاصده الشريفة، لكن ماذا تقول في مَنْ أراد الله تعالى خذلانه بمعادة وليّ الله تعالى مثل الشيخ - رضي الله عنه -! وأسوق هنا أمثلة من كلامه - رضي الله عنه - فيها ردود لبعض النقاط التي أثارها هؤلاء العداة، معظمها منقول من كتاب جواهر المعاني (النسخة التي ضبطها عبد اللطيف عبد الرحمن، الطبعة الأولى ١٩٩٧م دار الكتب العلميّة بيروت).

ردّ بعتانهم - أخزاهم الله تعالى -

بأنه فَضَّلَ صلاة الفاتح على القرآن الكريم

قال - رضي الله عنه - : "القرآن هو أفضل الذِّكْرِ". اه ص ١٣٢

وقال - رضي الله عنه - : "القرآن هو أفضل الدرجات في التقرب إلى الله تعالى لكن لِمَنْ صَفَّتْ أعماله وأحواله مع الله تعالى، فيكون تاليه حينئذ من أكبر السابقين وأعظم الفائزين برضا الله تعالى". اه ص ١٣٣

وقال - رضي الله عنه - في معرض كلامه عن فضل الصلّاة على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "رَبَّمَا يُطْلِعُ اللهُ بعض القاصرين ومن لا علم له بسعة الفضل والكرم على هذا فيقول: إذا كان هذا كما ذكرتم فينبغي الاشتغال به أولى من كلِّ ذِكْرٍ حَتَّى الْقُرْآن! قلنا له: بل تلاوة القرآن أولى لأنّها مطلوبة شرعاً لأجل الفضل الذي وَرَدَ فيه، ولكونه أساس الشريعة وبساط المعاملة الإلهية، ولما وَرَدَ في تَرْكِهِ مِنَ الوعيد الشديد، فلهذا لا يَحِلُّ لقارئه تَرْكُ تلاوته، وأمّا فضل الصلاة التي نحن بصددتها فإنّها من باب التخيير لا شيء على مَنْ تَرَكَهَا. وثانياً: إنّ هذا الباب

ليس موضوعاً للبحث والجدال بل هو من فضائل الأعمال وأنت خير بما قاله العلماء في فضائل الأعمال من عدم المناقشة فيها". اهـ ١٠٣

وقال أيضاً رضي الله عنه: "الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في حقّ الفاسق أفضل له من تلاوة القرآن، لأنّها شافعة له في إفاضة رضا الربّ ومحققا لذنوبه وإدخاله في زمرة أهل السعادة الأخرويّة، ولا كذلك القرآن، فإنّه، وإن كان أفضل منها، فإنّه محلّ القرب والحضرة الإلهيّة يحقّ لمن حلّ فيها أن لا يتجاسر بشيء من سوء الأدب، ومن تجاسر فيها بسوء الأدب استحقّ من الله اللعن والطرّد والغضب لأنّ حملة القرآن أهلُ الله فإنهم يؤاخذون أكثر من غيرهم بأقلّ من مثاقيل الذرّ، إلّا أن تكون له من الله عناية سابقة بمحض الفضل فتكون له عاصمةً من ذلك. فبان لك أنّ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقّ الفاسق أنفع له من تلاوة القرآن، فإنّ القرآن مرتبة مرتبة النبوة تقتضي الطهارة والصفاء وتوفية الآداب المرضيّة والتخلّق بالأخلاق الروحانيّة، فلذا يتضرّر العامّة بتلاوته لبعدهم عن ذلك. وأمّا الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فليس فيها إلّا التلقّظ بها باستصحاب تعظيم النبيّ صلى الله عليه وسلم بحالة تليق بتاليها من الطهارة الحسيّة ثوباً وجسداً ومكاناً وتلاوتها باللفظ المعهود في الشرع من غير لحن، فإنّ الله سبحانه وتعالى ضمن لتاليها أن يصلّي عليه، ومن صلى الله عليه مرّة لا يعدّبه، ولا وسيلة عند الله أعظم نفعاً وأرجى في استجلاب رضا الربّ عن العبد في حقّ العامّة أكبر من الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم وإن تدافعت العلماء في القطع بقبولها، فمن قائل بأنّ قبولها قطعيّ، ومن قائل بعدم القطع بقبولها كسائر الأعمال. والذي

نقول، إنّها مقبولة قطعاً، والحجّة لنا في ذلك أنّ الله تعالى يقول للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم: "من صلّى عليك صلّيت عليه ومن سلّم عليك سلّمت عليه". وهذا الوعد صادق لا يُخلف، وهو لا من حيث حيثيّة العبد بل من حيثيّة شدة العناية منه سبحانه وتعالى بنبيّه صلّى الله عليه وسلّم وقيامه عنه سبحانه وتعالى بالمكافأة لمن صلّى عليه صلّى الله عليه وسلّم لا يترك صلاة العبد تذهب دون شيء، وهو معنى قبول الصلاة من العبد". اهـ الجواهر ص ٤٣٨

وقال - رضي الله عنه - عن ثواب الاسم الأعظم: "وله ثواب صلاة الفاتح لما أغلق بتمامها ستّة آلاف مرّة لكلّ مرّة منه، وله ثواب سورة الفاتحة، وله ثواب من قرأ القرآن كلّّه، أعني بكلّ مرّة أجر ختمة". اهـ الجواهر ص ٥٣

وقال رضي الله عنه: "أفضل الأذكار ذكر الله عند أمره ونهيّه". اهـ ص ٥٩ الجواهر.

وقال - رضي الله عنه - : "الكلام على التفضيل بين الصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وبين تلاوة القرآن، أمّا تفضيل القرآن على جميع الكلام من الأذكار والصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وغيره من الكلام فأمرٌ أوضح من الشمس كما هو معلومٌ في استقراءات الشرع وأصوله، شهدت به الآثار الصحيحة. وتفضيله من حيثيتين: الحيثية الأولى: كونه كلام الذات المقدّسة المتّصفة بالعظمة والجلال، فهو في هذه المرتبة لا يوازيه كلام، والحيثية الثانية: ما دلّ عليه من العلوم والمعارف ومحاسن الآداب وطرق الهدى ومكارم الأخلاق والأحكام الإلهيّة والأوصاف العليّة التي لا يتّصف بها إلاّ الرّبانيّون، فهو في هذه المرتبة أيضاً لا يوازيه

كلام في الدلالة على هذه الأمور، ثم إنّ هاتين الحثيتين لا يبلغ فضل القرآن فيهما إلاّ عارف بالله انكشفت له بحار الحقائق فهو أبداً يسبح في جُحُهَا، فصاحب هذه المرتبة هو الذي يكون القرآن في حقه أفضل من جميع الأذكار والكلام لِحُوزِهِ الفضيلتين لكونه يسمعه من الذات المقدسة سماعاً صريحاً لا في كل وقت وإمّا ذلك في استغراقه وفنائه في الله تعالى.

والمرتبة الثانية في القرآن دون هذه، وهي مَنْ عرف معاني القرآن ظاهراً وألقى سَمْعَهُ عند تلاوته كأنّه يسمعه من الله تعالى يقصّه عليه ويتلوه عليه مع وفائه بالحدود، فهذا أيضاً لاحقٌ في الفضيلة بالمرتبة الأولى إلاّ أنّه دونها.

والمرتبة الثالثة في تلاوة القرآن رجلٌ لا يعلم شيئاً من معانيه، ليس له إلاّ سرُّ حروفه، ولا يعلم ماذا تدلّ عليه من العلوم والمعارف، فهذا إن كان مهتدياً، كسائر الأعاجم الذين لا يعلمون معاني العربيّة إلاّ أنّه يعتقد أنّه كلام الله ويُلقِي سَمْعَهُ عند تلاوته معتقداً أنّ الله يتلو عليه تلاوةً لا يعلم معناها، فهذا لاحقٌ في الفضل بين المرتبتين إلاّ أنّه منحطٌ عنهما بكثير بشرط أن يكون مهتدياً موفياً بالحدود والواجبات غير مُخْلِ بِشَيْءٍ مِنْهَا.

والمرتبة الرابعة رجلٌ يتلو القرآن سواءً عَلِمَ معانيه أو لم يعلم إلاّ أنّه متجرئ على معصية الله غير متوقّف عن شيء منها، فهذا لا يكون القرآن في حقه أفضل بل كلّما ازداد تلاوة ازداد ذنباً وتعاضم عليه الهلاك، يشهد له قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا

أَبَدًا}، وقوله سبحانه وتعالى: {وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩) مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠)} وقوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}، وكلٌّ من يحفظ القرآن ولم يُقِمِ حدوده فقد اتَّخذه هُزُوًا. قال الله تعالى: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا.. الآية}،... فأصحاب المراتب الثلاثة الأولى القرآن في حَقِّهم أفضل من الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصاحب المرتبة الرابعة الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حَقِّه أفضل من القرآن، وبيان ذلك أَنَّهُ يزداد من الله تعالى بتلاوة القرآن طَرْدًا وَلَعْنًا وَبُغْدًا". اه ص ١٣٠

رَدُّهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى

مِنْ أَتَمِّهِ بِالْإِتِّبَاعِ وَعَدَمِ الْإِتِّبَاعِ

قال - رضي الله عنه - : "إذا سمعتم عني شيئاً فزنوه بميزان الشرع فإن وافق

فاعملوا به وإن خالف فاتركوه". اه الإفادة الأحمديّة ١٣

وقال: "الخيرُ كُلُّهُ في اتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَالشَّرُّ كُلُّهُ في مَخَالَفَتِهَا". اه من الجواهر.

وقال: "لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا عِبْرَةَ فِي الْحُكْمِ إِلَّا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَوْلِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّ أَقْوِيلَ الْعُلَمَاءِ كُلِّهَا بَاطِلَةٌ إِلَّا مَا كَانَ مُسْتَنَدًا لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُلُّ قَوْلٍ لِعَالَمٍ لَا مُسْتَنَدَ لَهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَلَا مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَكُلُّ قَوْلَةٍ لِعَالَمٍ جَاءَتْ مُخَالَفَةً لَصَرِيحِ الْقُرْآنِ الْمُحْكَمِ وَلَصَرِيحِ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَرَامٌ الْفَتْوَى بِهَا". اهـ من الجواهر.

وَمِنْ وَصَايَاهُ لِأَصْحَابِهِ قَوْلُهُ: "وَصُونُوا قُلُوبَكُمْ إِذَا رَأَيْتُمْ أَحَدًا فَعَلَ حَقًّا يَخَالِفُ هَوَاكُمْ أَوْ هَدَمَ بَاطِلًا يَخَالِفُ هَوَاكُمْ أَنْ تُبْغِضُوهُ أَوْ تُؤْذُوهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مَعْدُودٌ مِنَ الشَّرْكِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى،... وَكَذَا صُونُوا قُلُوبَكُمْ عَمَّنْ فَعَلَ بَاطِلًا أَوْ هَدَمَ حَقًّا يَطَابِقُ هَوَاكُمْ أَنْ تُحِبُّوهُ أَوْ تُتَنَوَّاهُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ أَيْضًا مَعْدُودٌ مِنَ الشَّرْكِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَحِبُّ الْحَقَّ وَيَحِبُّ أَهْلَهُ وَيَحِبُّ أَنْ يُقَامَ الْحَقُّ وَيُعْمَلَ بِهِ، وَيَبْغِضُ الْبَاطِلَ وَيَبْغِضُ أَهْلَهُ وَيَبْغِضُ أَنْ يُقَامَ الْبَاطِلَ وَيُعْمَلَ بِهِ". اهـ من الجواهر ص ٣٥٣

وقال رضي الله عنه: "إِنَّ التَّشْرِيْعَ بِإِحْدَاثِ حُكْمٍ لَمْ يَكُنْ سَابِقًا طَلِبًا لِلْفِعْلِ أَوْ طَلِبًا لِلتَّرْكِ أَوْ تَعَبْدًا أَوْ إِبَاحَةً أَوْ نَقْضَ حُكْمٍ سَابِقٍ فِي الشَّرِيعَةِ فَتَبَدَّلَ بِحُكْمٍ آخَرَ، فَهَذَا لَا سَبِيلَ لِلْأَوْلِيَاءِ إِلَيْهِ، إِذْ هَذَا مُتَوَقِّفٌ عَلَى النُّبُوَّةِ فَقَطْ". اهـ ص ٣١٢

وقال رضي الله عنه أثناء كلامه عن شرائع من قبلنا: "فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَوَصَّلَ إِلَى مَعْرِفَةِ أَحْكَامِهَا مِنْ غَيْرِ خَبَرٍ صَحِيحٍ فِي شَرِيعَتِنَا فَهُوَ فَضُولِيٌّ مُدْخِلٌ نَفْسَهُ فِي مَا لَا يَعْنِيهِ، وَلَا يَرْتَكِبُ هَذَا إِلَّا مَنْ إِسْلَامُهُ غَيْرُ حَسَنِ الْخَبَرِ: "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ

تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ". (مالك في الموطأ والترمذي في السنن) اه الجواهر ص ١٦١ -

١٦٢

وفيه أيضاً قوله رضي الله عنه: "وأما الوصول إلى الله تعالى من باب النبي صَلَّى الله عليه وسلّم بكونه باباً في الوصول إلى الله تعالى، ولا مطمع لأحد في الوصول إلى الله بدونه، فإنّما معنى ذلك بمتابعة شرعه واقتفاء سبيله والتخلّق بأخلاقه والتأدّب بآدابه، مع إخلاص الوجهة في ذلك كلّ إلى الله تعالى، فبهذا المقدار يصل العبد إلى الله تعالى، وبغير هذا المقدار لا سبيل للوصول إلى الله تعالى، فالواصل إلى الله تعالى إذا كان يريد أن ينزاح عنه الحجاب مطلقاً ويصل إلى الله محضاً بلا حجاب، أو يتخطّى الحجاب إلى ما وراءه، فهذا أمر لا سبيل إليه ولا مطمع لأحد في دركه". اه ص ٢٥٥

وقال رضي الله عنه: "وأما السبب الموجب لسجود الملائكة لآدم فالكلام فيه من وجه التحقيق أنّه غيبٌ لا يُدرَك إلا بالنصّ القطعيّ، ولا نصّ، فلا مجال في هذا الميدان، يقول سبحانه وتعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} فإنّ الله لم يُعلّمنا بالسبب الذي وقع السجود به لآدم، وذلك محجور عنده سبحانه وتعالى لا مجال فيه للعقول. لا نقول لأجل الخلافة ولا لغيرها بل نسكت حيث لم يُذكر شيء في سببه". اه ص ١٨٦

وقال رضي الله عنه: "التصوّف هو امتثال أمر الله واجتناب النهي في الظاهر والباطن من حيث يرضى لا من حيث ترضى". اه الجواهر ص ٢٨٦

رُدُّهُ عَلَى مَنْ نَسَبَ إِلَيْهِ زوراً وَهتافاً
أَنَّهُ يَعْتَبَرُ طَرِيقَتَهُ مَبْطَلَةً لِبَقِيَّةِ الطَّرِيقِ
وَأَنَّهُ يَتَعَالَى عَلَى سَادَاتِنَا المَشَايخِ

قال رضي الله عنه: "أوراد المشائخ رضي الله عنهم كلُّها على هدى وبَيِّنَةٍ من الله،
وكلُّها مُسْلِكَةٌ ومُوصِلَةٌ إِلَى الله تعالى". اهـ. من الجواهر ص ٩٢
"أوراد السادات رضي الله عنهم كلُّها على هدى من الله". اهـ. من الجواهر
ص ٩٢

رُدُّهُ عَلَى مَنْ نَسَبَ إِلَيْهِ أَنَّ أَهْلَ طَرِيقَتِهِ
مَبْشَرُونَ بِدخولِ الجَنَّةِ بلا قيد أو شرط

قال رضي الله عنه: "مَنْ سَمِعَ ذَلِكَ - أَي ما ذَكَرَهُ مِنَ المَبَشِّرَاتِ - وطرح نفسه
في معاصي الله لأجل ما سمع واتَّخَذَ ذَلِكَ حِبالَةً إِلَى الأمان من عقوبة الله في
معاصيه ألبس الله قلبه بغضنا حتَّى يَسُبُّنَا... فاحذروا من معاصي الله ومن
عقوبته، وَمَنْ قَضَى اللهُ عَلَيْهِ بِذَنْبٍ مِنْكُمْ - والعبد غير معصوم - فلا يقربنَّه إِلَّا
وهو باكي القلب خائفاً من عقوبة الله، والسلام". اهـ. جواهر المعاني ص ٩٩
وفيه: "لا أمان من مكر الله تعالى وإن بلغ العبد من الله ما بلغ في الاصطفاء
والاجتباء". اهـ ص ٢٠٧

وفيه أيضاً قوله: "وشرط الورد المحافظة على الصلوات في الجماعات والأموار
الشرعية، وإيّاكم ولباس حلّة الأمان من مكر الله في الذنوب فإنّها عين الهلاك". اهـ

ردُّه على اتِّهامه

بالقول بكتمان صاحب التشريع لبعض الأمور

قال - رضي الله عنه - : "الأمر العامّ الذي كان يأتيه عامّاً للأُمَّة طُويّ بساطُ ذلك بعد موته صلّى الله عليه وسلّم، وبقي الأمر الخاصّ الذي كان يُلقيه للخاصّ فإنّ ذلك في حياته وبعد مماته دائماً لا ينقطع". اهـ ص ١٠٣

وقال أيضاً: "كان صلّى الله عليه وسلّم يُلقِي الأحكام العامّة للعامة في حياته، يعني إذا حرّم شيئاً حرّمه على الجميع وإذا افترض شيئاً افترضه على الجميع، وهكذا سائر الأحكام الشرعية الظاهرة، ومع ذلك كان صلّى الله عليه وسلّم يُلقِي الأحكام الخاصّة للخاصّة، وكان يخصّ ببعض الأمور بعض الصحابة دون بعض وهو شائع ذائع في أخباره صلّى الله عليه وسلّم، فلمّا انتقل إلى الدار الآخرة، وهو كحياته صلّى الله عليه وسلّم في الدنيا سواء بسواء، صار يُلقِي إلى أمّته الأمر الخاصّ للخاصّ ولا مدخل للأمر العامّ فإنّه انقطع بموته صلّى الله عليه وسلّم وبقي فيضه للأمر الخاصّ للخاصّ. ومنّ توهم أنّ صلّى الله عليه وسلّم انقطع جميع مدده عن أمّته بموته صلّى الله عليه وسلّم كسائر الأموات فقد جهل رتبة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأساء الأدب معه ويخشى عليه أن يموت كافراً إنّ لم يثب عن هذا الاعتقاد". اهـ. ص ١٠٤

ردّه على من بهتّه

بأنّه فضّل أوراذه على الفرائض

قال رضي الله عنه: "وهذا الفضل المذكور فيما دون الفرائض، وأمّا هي فلا،
لحديث: "أيّ الأعمال أفضل يا رسول الله؟ قال صلّى الله عليه وسلّم: الصلاة
لوقتها". (متفقٌ عليه). اه الجواهر ص ١٠٤

ردّه على من اتّهمه

بتفضيل نفسه على الصحابة رضي الله عنهم

قال رضي الله عنه: "فضل الصحابة لا مطمع فيه لمن بعدهم". اه الجواهر ص
١٠٥

وفيه أيضاً: ضرب مثلاً رضي الله عنه لعمل الصحابة مع غيرهم، قال: "عَمَلُنَا
مِنْ عَمَلِهِمْ كَمَشِي النملة مع سرعة طيران القطة". اه من الجواهر ص ١٠٥
وفيه: "اختلف الناس في تفضيل الصحابيّ الذي لم يُفتح عليه على القطب من
غير الصحابة، فذهبت طائفة إلى تفضيل الصحابيّ وذهبت طائفة إلى تفضيل
القطب، والراجح تفضيل الصحابيّ على القطب بشاهد قوله صلّى الله عليه وسلّم:
"لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ". (متفقٌ عليه)،
وبقوله صلّى الله عليه وسلّم: "خيركم قرني ثمّ الذين يلونه ثمّ الذين يلونه"...
الحديث (متفقٌ عليه)، وبقوله سبحانه وتعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ} الآية". اه ص ٣٤٥

وفيه: "لو جُمِعَت عبادة جميع العالمين، ما عدا الملائكة والنبیین والمرسلين والصحابة، من منشأ العالم إلى النفخ في الصور ما عادلت من عبادات قطب الأقطاب في هذه المرتبة مقدار طرفة عين من عمره". اهـ ص ١٧٦

ردّه على دعوى الأفاكين - خذلهم الله تعالى -

بأنّه يدعو أتباعه ليعبدوه

قال رضي الله عنه: "إعلم أيّدك الله برّوحه أنّ المرید الصادق هو الذي عرّف جلال الربوبية وما لها من الحقوق في مرتبة الألوهية على كلّ مخلوق، وأنها مستوجبة من جميع عبيده دوام الدُّؤوب بالخضوع والتذلل إليه والعكوف على محبته وتعظيمه ودوام الإنحياز إليه وعكوف القلب عليه مُعْرِضاً عن كلّ ما سواه حُبّاً وإرادةً، فلا غرض له ولا إرادة في شيء سواه لِعِلْمِهِ أنّ كلّ ما سواه كَسْرَابٍ بقية يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً". اهـ ص ١١٣

وفي الجواهر: قال رضي الله عنه: "جُبِلَت القلوب على حُبِّ مَنْ أحسن إليها، وما أحسن إليك في الحقيقة إلّا ربّك وهو الذي سخر لك قلوب عباده، فلو شاء لعكس فلم ينفعوك بشيء". يدلّ بذلك كلّ على شهود النعمة من الله ويرقي من شهود الوسطة إلى المنعم سبحانه وأنّه لا مُنعم إلّا هو، ولا مُحسن ولا نافع سواه، وأنّ غيره لا يملك لنفسه فضلاً عن غيره ضرراً ولا نفعاً ولا جلباً ولا دفعاً، وكل من يعاملك ويأخذ بيدك فإنّما ذلك لعلّة وغرض، حتى العارف إذا أخذ بيدك ورحمك إنّما فعّل معك ذلك لأجل مولاك، فإنّما راعاك لوجهه فذلك لعلّة، إلّا الله سبحانه

وتعالى إنما يعاملك ويرحمك فضلاً وإحساناً وكرماً وامتناناً لا لأمر سابق ولا لشيء لاحق إنما هو محض جود من واجب الوجود، فلا ينبغي للعبد أن يعرف إلا مولاه وأن لا يرى إلا إحسانه ورحمته، فهو الذي أحسن إليه وأجرى مننه عليه...". اه
ص ٨٦

وقال رضي الله عنه: "الشيخ لا يُصَحَّبُ ولا يُعْرَفُ إلاَّ اللهُ عزَّ وجلَّ لا لشيء، وهي في أمرين، يعني الصحبة: فإمَّا أن يواليه اللهُ تعالى بأن يقول: هذا وليُّ اللهُ وأنا أُواليه اللهُ، وسرُّ ذلك في قوله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم مخبراً عن اللهُ: "مَنْ عَادَى لي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَّهُ بالحَرْبِ". (أخرجه البخاري). وفي طَيِّهِ: "مَنْ وَالَى لي وَلِيًّا لِأَجْلِ أَنَّهُ وَلِيٌّ لِصَافِيَتِهِ واتَّخَذْتَهُ وَلِيًّا". وهذا هو السرُّ الأكبر الجاذب للمريد إلى حضرة اللهُ تعالى. والأمر الثاني: يَعْلَمُ أنَّ الشَيْخَ مِنْ عِبِيدِ الحِضْرَةِ ويعلم ما يجب للحضرة من الأدب وما يُفسد المرء فيه من الأوطار والأرب، فإذا عَلِمَ هذا يَصْحَبُهُ لِيَدُلَّهُ على اللهُ وعلى ما يقربُه إليه، والصحبة في هذين الأمرين لا غير". اه الجواهر ص ١١٤

وقال: "ولا شيخ يجب طلبه إلاَّ شيخُ التعليم الذي يَعْلَمُ كيفية الأمور الشرعية التي يُطلب فِعْلُهَا من العبد أمراً ونهياً وتركاً، فهذا الشيخ يجب طلبه على كلِّ جاهلٍ، لا يَسْعُ أحداً تَرْكُهُ، وما وراء ذلك من الشيوخ لا يلزم طلبه من طريق الشرع لكن يجب طلبه من طريق النظر بمنزلة المريض الذي أعضلته العلة وعجز عن الدواء من كلِّ وَجْهِ وانعدمت الصِّحَّة في حقِّه، فنقول إن شاء البقاء على هذا المرض بَقِيَ كذلك وإن طلب الخروج إلى كمال الصِّحَّة قلنا له يجب عليك طلب

الطبيب الماهر الذي له معرفة بالعلّة وأصلها وبالذواء المزيّل لها وكيفية تناوله كمّا وكيفًا ووقتًا وحالًا، والسلام". اه الجواهر ص ١٢٠

وقال رضي الله عنه: "الشيخ في الطريق بمنزلة الدليل يعرف الطريق ومخوفها، ويعدّ لكلّ محلّ ما يستحقّ من الراحة والزيادة، وهو للأرواح والقلوب بمنزلة الطبيب الماهر في معرفة الأمراض العارضة، ومن أين مادّتها وكيفية معالجتها كمّا وكيفًا ومعرفة الأدوية التي يلقيها على تلك الأمراض حتّى تعود القلوب والأرواح إلى كمال صحّتها، فهذا غاية ما عند الشيخ. وأمّا ما وراء ذلك من الفيوض والتجليات والأنوار والأسرار والأحوال والعلوم والمعارف والتوحيد والتفريد والترقي في المنازل والمقامات، فإنّما هو بيد الخلاق الواحد سبحانه وتعالى، يعطي منه ما يشاء ويمنع منه ما يشاء، والشيخ سبب في ذلك". اه الجواهر ص ٢٨٢

وقال أيضاً: "والشيخ في هذه الأمور دالٌّ ومُعِينٌ لا خالق ولا فاعل، إذ الخلق والفعل لله والدلالة للشيخ". اه الجواهر ص ٣٦٥

وقال رضي الله عنه: "الله نفحات وتوقّعات من الغيب يهبها لمن يشاء، لكنّه سبحانه وتعالى يبعث تلك النفحات على أيدي صور الغيب، يُظهرها الله متصوِّرةً في صور بعض الأولياء الأحياء أو الأموات تُلقِي تلك الصور بعض الأسرار التي يقع عنها الفعل والانفعال، أو بعض النفحات لمن أراد الله في النوم أو اليقظة فينتفع بها من ألقبت إليه ويراها- أيّ الصورة - في صورة وليّ يعرفه، فيقول مَنْ نال ذلك: أعطاني سيّدي فلان السرّ، ولا علم لذلك الوليّ بشيء ممّا ذكر، ثمّ إنّ مَنْ وقع له ذلك شرط انتفاعه أن يدوم اعتقاده وتعظيمه لذلك الوليّ الذي وقعت

الصورة على صورته، فإن ساء اعتقاده في ذلك الولي الذي جاءته الصورة على صورته أو نقص تعظيمه من قلبه سلبه الله سرّه وتحوّلت عنه تلك الصورة فلا تأتيه أبداً ولا ينال سرّاً أبداً وبقي في ذلّ وإهانة". اه الجواهر ص ٣٧٣

وقال رضي الله عنه موجّهاً: "لا تفعل فعلاً من المأمورات التكليفية شرعاً إلا وأنت تشاهد الحقّ أمامك ومحيطاً بك وناظراً إليك، وأنك في قبضته وفي حضرته، وقدرته هي الحركة لك والمسكنة، وهذا الشهود ليس اعتقاداً بل عينياً حقيقياً وإدراكاً يقينياً يثمره صفاء الأحوال، ويعطيه كمال التحقّق في مقامات الإنزال، ولا إدراك فيه للمقال". اه الجواهر ص ٢٧٠

وقال رضي الله عنه: "الواجب في حقّ السالك أن يُسمي ويصبح ويظلّ ويبيت وليس له مراد إلاّ شيئان، الأول: هو الله عزّ وجلّ اختياراً له من جميع الموجودات، واستغناءً به عنها، وأنفة من لحظها لمحّة، وغيره أن يختار سواه، وليكن الله عزّ وجلّ هو مبدأً مراده ومنتهاه، وأوّل مراده وآخره ومفتّحه وختمه، ومستغرقاً لفصر مراده عنه فيما بين ذلك كلّ حتّى لا تبقى لمحّة يريد فيها غيره لأنّ إرادة الغير إمّا طمع أو عبث كما تقدّم. والثاني من مرادات السالك أن يكون كلّ الله عزّ وجلّ خالصاً من رقيّة غيره، كامل التعلّق به تعلقاً سرّاً وروحاً وعقلاً ونفساً وقلباً وقالباً حتّى لا تكون منه ذرّة متخلّفة عن الله تعالى، واقفاً مع مراده عزّ وجلّ، منسلخاً عن جميع الإرادات والاختيارات والتدييرات، والحظوظ والشهوات والأغراض، واقفاً في ذلك لله بالله مع الله، لا شيء منه لنفسه ولا بنفسه ولا مع نفسه، وليكن ذلك عبوديّة لله عزّ وجلّ من أجله وإرادةً لوجهه وأداءً لحقّ ربوبيّته لا ليعود عليه منه شيء، ولا

يختَر على الله عزّ وجلّ أن يكْمُل مراده بل لتخلّص عبوديته لرّبّه عزّ وجلّ لا قنوطاً من خيره لئلاّ يكفر، ويحسّن ظنه به لما هو عليه من كمال الصفات الإلهية". اه
الجواهر ص ٣٢٤

وقال رضي الله عنه: "زُبدة الأعمال الشرعية وغاية ارتفاعها هو التعلّق بالله تعالى بلا انفصام ولا تزلزل ولو دهته داهمات الفتن الصعبة التي لا ينجو منها إلاّ بانخلاع يده من سوى الله تعالى وانفصامه عنه، فهذا غاية العمل ومنتهاه، وهذا هو الفقه في الدين". اه الجواهر ص ٣٢٧

وقال رضي الله عنه: "حقيقة العافية هي القيام مع الله تعالى في مطابقة مراده بكمال الرضا والتسليم والتفويض والاستسلام وسقوط التدبير والحيل ودوام التبرّي من جميع الملاحظات والمسالكات والمصاحبات والمرادات حتّى لا يكون ثمّ غير الله في كلّ نفس أبداً دائماً سرمداً. وصحّة ذلك ومصدقه أن لا يخطر غيرُ الله على قلبه دائماً. فهذه هي العافية. وإذا سألت العافية من الله فاسأله العافية من حيث يعلمها لك عافية لا فيما تريده وتختاره". اه ص ٣٢٨

رُدُّه على تحريفهم

لما يعنيه بالرحمة المنسوبة للكفّار

قال رضي الله عنه: "أجسام الكفّار ليس فيها جهل بالله تعالى وإمّا لها إدراك وحدها خلاف إدراك الروح وبذلك الإدراك صارت عارفة بالله تعالى فتسجد له وتسبّحه ولا علم لها بما الروح فيه من الشرك بالله، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ

شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ}، فهي من جملة الأشياء التي تسبح الله تعالى وتسجد له
وإنما مصيبة الشرك والجهل خاصة بالروح وليست هي الأصل فيها بل هي مصيبة
طرأت عليها "اه ص ١٣٥

وقال أيضاً: "وأما الكفار، فلا حظّ لهم في متابعتهم صلى الله عليه وسلم ولا
يتوجّه لهم الخطاب، يعني قوله: {فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ}...
وقولنا فيما تقدّم "وَهُمْ دَاخِلُونَ فِي عَمُومِ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ، أَيَّ الْكُفَّارِ... إلى آخر
العبارة"، يعارض هذا الذي وَقَعَ النَّصُّ عَلَيْهِ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَنَّهُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ تَعَالَى
بقوله: {لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ}، وقوله: {ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ
لَهُمْ فِيهَا دَارٌ الْمُخَلَّدِينَ}. والجواب عن هذا: أنّ الخلق كلّهم جملة وتفصيلاً على المشيئة
الإلهية كان بُرُورُهُمْ، ما خرجت منهم ذرّة عن هذا المنوال، وليست محبة الله في
الوجود إلاّ تفصيل مشيئته وتخصيصها، وقد كنّا قدّمنا أنّ المحبة المعهودة في حقّ
الخلق من شدّة الولوع بالشيء وشدّة التعسّق وشدّة الميل إلى الاتّصال بالمطلوب
وما يتبع ذلك من الشغف والاحتراق بالشوق، كلّ ذلك مستحيل على ذات الله
تعالى أن يحلّ فيها هذا الأمر لقيام البراهين القطعية على نزاهة ذاته المقدّسة على
هذا المنوال، ويطول جلب تلك البراهين، والمانع في ذاته المقدّسة عن هذا أمور:
الأوّل من شدّة الولوع بالشيء وشدّة الشغف به وطلب الاتّصال به أنّ الداعي
لذلك هو الافتقار إلى ذلك الشيء المحبوب وتخصيل المنفعة به أو دفع المضرّة به،
والذات المقدّسة غنيّة عن هذا إذ هو الغنيّ عن العالمين فلا يحلّ به شيء من هذا.
والأمر الثاني ما عليه ذاته المقدّسة من العظمة والكبرياء والعزّ والجلال والعلو، وكلّ

هذه الصفات ذاتية، وكلّ هذه الصفات اقتضت لذاته العلية أن لا يوجد شيء معها فضلاً على أن تحتاج إلى شيء. والأمر الثالث نزاهة ذاته العلية عن تعاقب الأحوال عليها فلا يطرأ عليها التغيّر في لحظة من اللحظات بل هي على وصفٍ قائمٍ بما لا تنفك عنه ولا تتغيّر عنه بحال، ولذا يقول صلى الله عليه وسلّم في الحديث: "أعوذ برضاك من سخطك" وأراد صلى الله عليه وسلّم بالرضا ما عليه ذاته المقدّسة من الصفات الذاتية المتقدّمة وكمال العنّي فيها عن جميع العالمين فإنّه وصّف ذاتيّ لها وهو مستحيل الانتقال والزوال، ولذا استعاذ به صلى الله عليه وسلّم إذ لو كان يصحّ انتقاله وزواله لَكُنّا نقول في بعض الأوقات يوافق زوال ذلك الشيء منها فلا تكون مقيدة له لعدم وجود ما استعاذ به فيها، فلما كان مستحيل الزوال والانتقال استعاذ به صلى الله عليه وسلّم، ولما كان السخط من الله لا وجود له في ذاته إنّما هو من صفات الفعل فقط استعاذ منه صلى الله عليه وسلّم لأنّه صحيح الانتقال والزوال لكونه من صفات الفعل لا من صفة الذات، فإنّ الذات في غاية الرضا على أبد الأبد في حقّ المؤمن والكافر.

ولعلّ المعارض في هذا يقول: "فما وقع في الأخبار من ذكّر سخط الله تعالى وغضبه في الآيات البيّنات كقوله تعالى في قاتل النفس: {وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ} يعني لِقْتَلِهِ النَّفْسَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وكقوله في حقّ الكافرين: {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}، وأمثال هذه الآية كثيرة، والجواب عن هذا أنّ تلك العقوبات منه سبحانه وتعالى لم تكن لإشفاء غيظٍ ولا لِلْحُقُوقِ حِقْدٍ في ذاته أو غيظٍ، فإنّ الذات المقدّسة منزّهة عن هذا وإنّما تلك كمالات ألوهيته، فالألوهية لها

وصُفان، وَصَفُ هو جنود الحقّ والنور والسعادة، والوصف الثاني جُنْدُ الظلام والباطل والشقاوة، فكلّها كمالاتُ أَلُوهُيَّتِهِ سبحانه وتعالى وتعلّقات مشيئته لا يخرج شيء عن هذا المنوال. وما أُطْلِقَ في الكفّار مِنَ العداوة والغضب والسخط فإنّما هي أحوالٌ اقتضتْهَا كمالاتُ الألوهيّة تتعاقب عليهم لا أنّها أمورٌ قائمةٌ بذاته، فإنّما هي من صفاتِ الفعل فقط". اه باختصار من الجواهر ص ١٣٨

وفيه أيضاً: "وقد استدَلَّ شيخنا رضي الله عنه فيما ذكّرهُ في شَرْحِ هذه الآية المتقدّمة مِنْ أنّ الكفّار داخلون تحت حيلة محبّة الله تعالى ورحمته بقوله سبحانه وتعالى: { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ } الآية. قال رضي الله عنه معناه: فسأكتبها خالصة من العذاب للذين يتّقون، دلّت الآية على أنّ حَلْقَ الله قِسْمَانِ هنا وهناك، قِسْمٌ مُعَذِّبٌ مَرْحُومٌ وَقِسْمٌ مَرْحُومٌ فَقَطْ لا عذابَ عليه. أمّا القسم المرحوم المعذّب قال سبحانه وتعالى: { عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ }، وأمّا الصنف الثاني الذي هو مرحوم بلا عذاب فقال سبحانه وتعالى في حقّهم: { فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ } الآية. وما ورد في قوله تعالى ممّا يُنَاقِضُ عموم الرحمة في قوله سبحانه وتعالى: { والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم } فالرحمة في هذه الآية التي يئسوا منها هي الجنّة فقط، فإنّها مُحَرِّمَةٌ على كلّ كافر، وليست الجنّة هي غاية رحمة الله تعالى، فإنّ رحمة الله تعالى لا تحيط بها العقول". اه منه ص ١٤٠

وفي الجواهر أيضاً: "وسئل رضي الله عنه عن قوله تعالى: { فَأَمَّا الَّذِينَ شَفُوا فَنفِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ... الآية }

فأجاب رضي الله عنه بقوله: معناه يُحتمل ما دامت سموات الآخرة وأرضها وهي باقية إلى الأبد كأنه يقول خالدين فيها أبداً، وقال بعض المفسرين هي صيغة تستعملها العرب إذا أرادت الدوام الذي لا غاية له قالوا: ما دامت السموات والأرض. وقوله: {إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ}، فمعنى الاستثناء في الآيتين هُم عَصَاة المؤمنین الذين ينفذ فيهم الوعيد فَإِنَّ لَهُمْ حِطًّا من الشقاوة لكثرة جرائمهم ومعاصيهم يدخلون النار مع الكفار ثُمَّ إِنَّهُمْ يُخْرَجُونَ منها بإيمانهم، فهو الاستثناء في أهل النار ولهم حِطٌّ من السعادة بإيمانهم، وهو محط الاستثناء في أهل السعادة".

اه ص ١٤٩

ردّه افتراءهم عليه القول

بالحلول والاتحاد أو وحدة الوجود الفلسفية

قال - رضي الله عنه - في شرح: "أنا عند ظنّ عبدي بي". قال: "العندية اقتضت الحلول معه في المكان، لأنّ العبد في المكان مستكنّ، وذلك مستحيل على الله تعالى، إذ يستحيل عليه الحلول في الأمكنة والخروج عنها. معنى العندية هنا إسعافه للعبد بمطلبه فيما ظنّ به فيه". اه من الجواهر ص ٢٢٧

وقال أيضاً: "فالمعية في قوله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} مع كلّ شيء، لا بجلول ولا اتصال ولا انفصال ولا مسافة ولا قرب ولا بعد". اه الجواهر ص

٢٢٩

وقال رضي الله عنه: "حقائق الصفات الإلهية لا تكشف العبارة عنها شيئاً، إنّما

تعرف حقائقها بالذوق والحال". اهـ الجواهر ص ٣٣٢

وفيه: "{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} على ما أراد وعلم". اهـ ص ٣٠٦

وفيه أيضاً: "قوله: (فإذا أحببته كنت سمعه... الخ) يشهد العبد من نفسه قوّة إلهية كأنّه هو الذات المقدّسة بجميع صفاتها وأسمائها، كأنّه هو وليس هو، ولكنّه سبحانه وتعالى أفاض عليه من أنوار صفاته وأسمائه لعلّ مقامه". اهـ الجواهر ص

٢٣٦

وفيه: "هذا القرب الذي اجتمعت عليه الطائفة، المصرّح به في الكتاب والسنة في غير ما موضع، ليس هو قرب المسافة ولا قرب الاتصال، وإنّما هو قرب النسبة فقط، فإنّ العبد وُضِعَ أوّلاً في غاية البعد عن نسبة الحضرة الإلهية، فإنّ نسبة الحضرة الإلهية تقتضي أن لا وجود لشيء مع الله تعالى، ولا حكم لغير الله تعالى، ولا التفات لغير الله تعالى، ولا تعويل على غير الله تعالى، وحدّها أن لا يكون في قلب المقرّب إلاّ الله لا غير. والعبد وُضِعَ في وضعه الأوّل حيث خرج من بطن أمّه وحيث أفاق من غيبته، وهو في غاية البعد عن الله تعالى لكونه مشغولاً بحظوظه وشهواته، دائم العكوف على تحصيل أوطاره من حال دنياه، لا يلتفت إلى الله ولا يُلمّ به. فهذا هو البعد عن نسبته إلى الله تعالى، وليس البعد ههنا بعد المسافة، فإنّ الذات العلية جلّت وتقدّست أن يكون بينها وبين شيء خلقته مسافة تقتضي الانفصال. وكذا جلّت وتقدّست أن يكون لها اتّصال بشيء، بل الوجود كلّ في قبضته بين يديه سبحانه وتعالى، من نشأته الأولى إلى الأبد، وكلّ واحد من الخلق،

فَهُمْ فِي جَمِيعِ تَقَلُّبَاتِهِمْ بَيْنَ يَدَيْ الْخَالِقِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مَنْ مَشَى مِنْهُمْ مَشَى بَيْنَ يَدَيْ الْحَقِّ حَيْثَمَا مَشَى، وَمَنْ سَعَى مِنْهُمْ كَذَلِكَ، وَمَنْ جَلَسَ مِنْهُمْ كَذَلِكَ جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ الْحَقِّ حَيْثَمَا جَلَسَ، وَمَنْ رَقَدَ مِنْهُمْ رَقَدَ بَيْنَ يَدَيْ الْحَقِّ كَيْفَمَا رَقَدَ، وَالْحَاصِلُ مِنْهُمْ أَنَّ مَنْ تَحَرَّكَ تَحَرَّكَ بَيْنَ يَدَيْ الْحَقِّ، وَمَنْ سَكَنَ مِنْهُمْ سَكَنَ بَيْنَ يَدَيْ الْحَقِّ، وَإِنَّمَا هُمْ عَمُونَ عَنْ هَذَا، وَيَعْنِي بِهِ أَهْلُ الْبَعْدِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى الْمَشْغُولِينَ بِشَهْوَاتِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ، ". اهـ منه ص ٢٣٧

وقال رضي الله عنه: "الأستار التي تجلّي من ورائها لا شيء فيها إنّما هي كسرابٍ بقيعة، وصورتها في ذلك صورة الهباء في الهواء أنت تراه صوراً مرئية فإذا قبضته بيدك لم تر شيئاً، هكذا صورة الكون عند الموقنين". اهـ من الجواهر ص ٢٢٠

وقال رضي الله عنه: "المتعلّقون بصفات الكبرياء والعظمة والعزّ والجلال والعلوّ، محبّةً وخدمةً معهم رشحةً من محبّة الذات فإنّ هذه صفات الذات الأصلية فلا حظّ فيها لمخلوق إنّما الصفات التي يكون بها مُفِيضًا لخلقها هي اللطف والخلق والرزق والهياتُ والعفو والكرم وأمثالها، فالمتعلّقون بها مُطالِبون بعبائمه ومَنِّه، والمتعلّقون بالصفات الذاتية لم يريدوا منه شيئاً مثل العظمة والكبرياء والعزّ والجلال والعلوّ لأنّ هذه الصفات متى برزت للعِيان امتحق المشاهد تحتها للقهر الذي يلزمه، فإنّه لا يُطَبَّقُ أحدٌ من الخلق مطالعة عظمتهم وجلالهم وعلوّهم وكبريائهم وعزّهم، ولذا يُسْحَقُ وَيُحَقُّ الْمَشَاهِدُ تَحْتَهَا، فَلَوْ سُئِلَ الْمُتَعَلِّقُ بِهَا مِثْلًا: لِمَاذَا تُحْدِمُ رَبَّكَ

وتنقطع إليه؟ لقال: لِمَا هو عليه من العظمة والكبرياء لا لينالني منه شيء، فإنَّ معهم رشحة من محبة الذات". اهـ الجواهر ص ١٤١

وفي الجواهر: "وسألته رضي الله عنه عن قوله تعالى: {فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ}، فأجاب رضي الله عنه بما نصّه: معناه فَرَّوا إليه بعبادته دون غيره، عبادةً واستناداً واعتماداً والتجاءً واختياراً له من جميع خلقه، وفي التعويل عليه والبراءة من جميع غيره مساكنة وملاحظة واعتباراً، فهذا هو الفرار إلى الله". اهـ ص ١٤٥

وفيه أيضاً: "وكلّ الكون بأسره بارزٌ عن المشيئة، فما شدَّ منه شيء قلَّ أو جلَّ عن المشيئة الإلهية لأنّ التكوين من حيث ما هو هو في جميع المكونات إنّما برز عن الكلمة الإلهية بقول {كُنْ}، والكلمة الإلهية مشروطة بتقدم المشيئة الإلهية، ما قال لشيء كُنْ إلاّ بتقديم مشيئته على تكوينه، قال جلّ جلاله: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}، وقوله سبحانه وتعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}، فما تخلّفت المشيئة عن الحكمة الإلهية". اهـ ص ١٤٦

وفيه: "والنور هنا ليس هو كما يفهم أنّه الضياء المنبسط، بل النور المراد به هو الذي يتمّ به الوجود من الله تعالى بلا واسطة. والنور في الحقيقة هو الوجود المطلق، والوجود المطلق لا يطلق إلاّ على الذات المقدّسة جلّت وتقدّست، وكونه مطلقاً لا يطرأ عليه التغيير بوجه من الوجوه لأنّ وجوده من ذاته لذاته عن ذاته في ذاته ليس عن مادّة ولا عن كميّة ولا عن صورة، ومن هنا كان واجب الوجود سبحانه وتعالى، كما أنّ الظلمة حقيقتها هي العدم المحض، فالوجود كلّ ظلمة من حيث

إنَّه عدم محض لا نوريّة فيه، وإمّا وجوده استمدّد من نوره صلّى الله عليه وسلّم وعنه
وُجِدَ ومنه تصوّر وبه كان. وأمّا نوريتّه صلّى الله عليه وسلّم فلا يقال فيها نور
مطلق لأنّها مستمدّة من نوره سبحانه وتعالى لأنّه هو الوجود المطلق، ومعنى
استمداده هو أنّه خُلِقَ من أجل الذات المقدّسة لا لأجل شيءٍ دونها جلّت
وتقدّست، فلا علّة ولا واسطة بينه وبين الحقّ تعالى، خُلِقَ من أجل الحقّ لا غير".

اه ص ٤٢٠

وفيه: "وسألته رضي الله عنه عن قوله تعالى: {أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ
هَدَى}، فأجاب رضي الله عنه بقوله: الخلق ههنا ما ظهرت به عين ذات الوجود
وهي الصورة المرئية: الحماريّة في الحمار، والآدميّة في الآدمي، والجمليّة في الجمل،
والشجريّة في الشجر، والجماديّة في الجمادات، والحيوانيّة في الحيوانات، وسرّ مع
تفاصيل الوجود ذرّة ذرّة، هذا معنى {أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ}. {ثُمَّ هَدَى}، المراد
بالهداية هنا الهداية العامّة وهي تعمّ الحيوانات والجمادات والمؤمن والكافر، وهي
السّير في المسار الذي أقامه الحقّ فيه سبحانه وتعالى من حيث إنّّه أخذ بجميع
نواصي الموجودات يقودها لما يريدّه إطلاقاً وعموماً ما يشدّد موجود عن هذا المسار
لقول المعصوم سيّدنا هود عليه السلام: {مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي
عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، في هذا الميدان لا يشدّد عن هذا المسار شيء من
الموجودات، وكلّ ما في الموجودات جامدة ومتحرّكة، فالجمادات ألبسها سبحانه
وتعالى أرواح الحياة بها تسبّح الله وتقدّسه وبها تحزّ ساجدة لله تعالى لعموم الآية
{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ

وَالْقَمَرُ {الآية، وبأرواح هذه الحياة فيها صارت عارفة بالله لأَنَّها لا تسجد ولا تسبِّح إلا لكونها عارفة بالله تعالى إلا أنَّ معرفتها وسجودها وتسبيحها له من حيث لا ندركه، قال سبحانه وتعالى: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} ومعنى قوله تعالى: {إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، سيره في هذه الجادة لا يختل نظامه ولا يقدر شيء من الموجودات أن يستعصي عن أمره. قال الشاذلي رضي الله عنه: "إنَّ الكافر وإن لم يُجِبْ داعيَ إيمانك فقد أجاب داعيَ سلطانك فالكلّ ممثلون لأمرك"، ويشهد لهذا قوله تعالى: {إِنِّي نَارٌ أَوْ كَرَاهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ}، لا يستعصي عليه شيء من الموجودات، وقوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} فكلّ موجود يسبِّح الله تعالى غير الكافر فإنّه لا يسبِّحه لكن أعضاؤه تسبِّح الله من غير شعور منه". اهـ ص ١٥٠

وقال رضي الله عنه: "بِحُرِّ الخليفة بحر الأسماء والصفات، فما ترى ذرّة في الكون إلا وعليها اسمٌ أو صفةٌ من صفات الله، وبحر الألوهية هو بحر الذات المطلقة التي لا تُكَيَّفُ ولا تَقَعُ العبارة عنها... ولا يختلطان، لا تختلط الألوهية بالخليفة ولا الخليفة بالألوهية". اهـ من الجواهر ص ١٥٣

وقال رضي الله عنه: "إِعلم أنَّ مَعِيَّةَ الله سبحانه وتعالى لكلّ شيء من الوجود وقُرْبُهُ لكلّ شيء من الوجود صفتان نفسيّتان ويتبعان ماهية ذاته. كما لا تُعقل ماهية الذات ولا سبيل للعقل إلى شَمِّ شيء من روائح الوقوف على حقيقتها كذلك لا سبيل للعقل لإدراك حقيقة معية الحقّ لكلّ شيء وقربه لكلّ شيء، فهو سبحانه وتعالى مع كلّ شيء بذاته وأقربُ إلى كلّ شيء بذاته من وَجْهِه لا يدركه

العقل في هاتين الحقيقتين، فذاته جلّ جلاله متعالية مقدّسة عن جميع حدود الجرم والجسم ولوازمه ومقتضياته، من دخول وخروج وقرب وبعد واتّصال وانفصال وتخيّر واختصاص بجهةٍ أو إحاطة بالظرفية أو صورة أو لوناً أو كِبَراً أو صِغَراً، إلى ما يتبعه ذلك من كونه جامداً أو سيّالاً أو متحرّكاً أو ساكناً أو ملء العالم أو في جزء منه إلى غاية حدود الجسم وهي كثيرة لا نطيل بذكرها، ولذا لا يقع عليه الوهم والعقل لأنّهما في وقت الفكر لا يخرجان عن قيود الجسم ولوازمه، فتعيّنت ماهية الذات العليّة من وراء طوّر العقل والحسّ والفكر، كما قال بعض الأكابر في هذا الحدّ: "لا يتمثّل في النفس، ولا يتخصّص في الذهن، ولا يتصوّر في الوهم، ولا يتكيف في العقل لا تلحقه العقول ولا الأفكار، ولا تحيط به الجهات ولا الأقطار". اهـ ص

١٨٣

وفيه أيضاً: "الله سبحانه وتعالى هو المحرّك لجميع الوجود والقائم عليهم في كلّ أمرٍ والمقيم لهم في كلّ حركة وسكون، لا يملكون من دونه شيئاً وما يملكون من قطمير، ولا حركة لهم ولا حكم ولا تقديم ولا تأخير، بل هم في قبضته سبحانه وتعالى وتحت حكم مشيئته يصرفهم كيف يشاء ويقلبهم كيف يريد فيما يشاء من خير أو شرّ، أو نفع أو ضرّ، أو طاعة أو معصية، أو إقبال أو إدار، ثمّ إنّ من وراء هذه الحقيقة تجلّى سبحانه وتعالى فجعل تلك الحكمة والشريعة منوطة بالشروط والأسباب والضوابط واللوازم والمقتضيات لا انفكاك لشيء في تلك الحكمة عمّا أراد سبحانه وتعالى، وكلّ ذلك يجري على قانون المشيئة، ثمّ رتب في صورة هذه الحكمة، على وجوه تلك الضوابط والروابط، أحكاماً إلهية سمّاها حدوداً

وعقوبات وثواباً وعقاباً وخوفاً ورجاءً لا خروج لأحد عن تلك الضوابط والقيود، وله الحكم والاختيار في كلِّ ما فعل في صورة الحقيقة والشريعة لا يُنازع ولا يُقال له: لم؟ ولا لأيِّ شيء؟ ولا على ماذا؟ فليس إلاَّ مدُّ العُنُقِ وتغميض العين وخضوع القلب تحت سلطان الألوهية والجلال". اهـ ص ١٨٨

وفي الجواهر: "حضرة الألوهية شاملة لجميع الأسماء والصفات والحضرات الإلهية، وحقيقة الألوهية هو توجه الموجودات إليه بالعبادة والخضوع والتذلل والفقر والتعظيم والإجلال والمحبة. وأما معنى الألوهية يشار بها إلى الذات العلية موجودة في كلِّ شيء شهوداً ورؤية عارية عن كلِّ شيء متباعدة عن كلِّ شيء عياناً وحقيقة، فإنَّ الشخص الظاهر في المرأة تُرى ذاته طالعة في المرأة وما هو حالُّ فيها ولا مُقارِبُ لها، بل هو مفارق لها في كلِّ وجهٍ ومغاير لها بكلِّ اعتبار، وتُرى ذاته في المرأة وما هي فيها، والمثال يغني عن بسط المقال". اهـ ص ٢٩٣

وفيه أيضاً: "المعرفة الحقيقية أخذُ الله للعبد أخذاً لا يعرف له أصلاً ولا فصلاً ولا سبباً، ولا يتعقل فيه كيفية مخصوصة، ولا يبقى له شعور بحسّه وشواهدة ومحمواته ومشيتته وإرادته، بل تقع عن تجلِّ إلهي ليس له بداية ولا غاية، ولا يوقفُ له على حدِّ ولا نهاية، ومحق العبد محقاً لا يبقى له شعور بشيء ولا بعدم شعوره ولا بمحقه، ولا يميّز أصلاً من فرعه ولا عكسه، بل لا يعقل إلاَّ من حيث الحقِّ بالحقِّ في الحقِّ عن الحقِّ. فهذه المعرفة الحقيقية. ثمَّ يفيض عليه من أنوار قدسه فيضاً، فيعطيه كمال التمييز والتفضيل بين المراتب وخواصّها، وما تعطيه حقائقها في جميع أحكامها ومقتضياتها ولوازمها، وتفصيل الصِّفات والأسماء ومراتب آثارها

ومعارفها وعلومها، وهذا التمييز يسمّى بالبقاء التامّ والصحو الكامل، والأصل الأوّل يسمّى بالفناء التامّ، ولا قيام لهذا البقاء إلّا بفناء الفناء الأوّل على أصله وقاعدته، ومتى انهدم الأوّل انهدم الثاني". اهـ ص ٢٩٤

وفيه أيضاً: "الأكوان عند العارفين بالنسبة إلى الله عزّ وجلّ، بالنظر إلى ذاتها، على حدّ سواء، لا تفضيل لها من ذاتها ولا تشريف لها ولا تفاوت إلّا من حيث فضّلها خالقها، فالعارفون قطعوا عن الأكوان من حيث ذاتها، لم يُعَرِّجُوا عليها بوجه ولا حال، ولا يجبّون شيئاً منها لذاتها كائنة ما كانت، وكلّ ما سوى الله عزّ وجلّ فهو منها، ولا يجبّون منها إلّا ما أحبّ الله، فهُمْ بحبّه يجبّون، وما شرفوه فإنّما بتشريف الله عزّ وجلّ، وما عظّمه عظّموه، وما حقّره حقّروه، وما وضعه وضعوه، وما مدحه مدحوه، وما ذمّه ذمّوه، وما أبغضه أبغضوه، فهُمْ مع الله الله بالله لا لأنفسهم ولا بأنفسهم ولا مع أنفسهم، فقد فَنَيْتْ إرادتهم تحت إرادة الله واختيارهم تحت اختيار الله ونظرهم تحت نظر الله". اهـ ص ٣١٩

وفيه أيضاً: "واعلم أنّ الذي حجب الخلق عن الله تعالى هو سكونهم إلى غيره، ولولا ذلك لرأوه كلّهم ببصائرهم عياناً، ولكن بعضهم في الحجاب أشدّ من بعض، والكلّ في الانحجاب عنه على حدّ سواء لاستحالة المسافة والأمكنة والجهات عنه جلّ وعلا، وإنّما ذلك بنسبة ما حُجِبَ العبد عن شهوده سبحانه. فطائفة حجبتهم حبّ الدنيا والانكباب عليها، وهذا أعظم الحجب، وطائفة حجبتهم عن الله عزّ وجلّ شهواتهم وأغراضهم وهواهم ونفوسهم، وهذا أدنى من الأوّل، وطائفة حجبتهم الآخرة من أنواع نعيمها وحورها وقصورها وأليم عذابها والخوف من دركات جهنّم،

وطائفةٌ حجبهم عن الله عزّ وجلّ سكوّهم إلى العلوم والمعارف والأسرار والأنوار والأحوال والمقامات لكونها هي مقصودهم من الله تعالى وطلبهم منه، فهّم يسكنون لوجودها ويضطربون لفقدائها، والعارفون خرقوا هذه الحجب كلّها وجلسوا مع الله عزّ وجلّ على بساط شهوده والتبرّي عن رؤية الأحوال والمقامات وإرادتها لأنّها من جملة الأكوان التي خرجوا عنها. وإنّما كان الأوّلون أعظم ممّن بعدهم في الحجاب لأنّهم حُجبوا بالحجاب الأوّل بعد الثاني. وأهل الحجاب الثاني خرقوا الحجاب الأوّل بالزهد فقطع عليهم الطريق دواعي النفس والهوى فحُجبوا. وأهل الحجاب الثالث خرقوا الحجابين فقطع عليهم الطريق لذّة النعيم الدائم فحُجبوا. وأهل الحجاب الرابع خرقوا الثلاثة وقطع الطريق عليهم إرادة الرفعة والمنزلة بحصول المقامات. إلّا أنّ الثلاثة الأوّلين حجبوا بالظلمات، والآخريّن حجبوا عن الله عزّ وجلّ بالأنوار، وكلّها مستوية، حيث لم ينظروا إلى الله تعالى. ومّن خرق الحجب كلّها نظر إلى الله تعالى بعين البصيرة". اهـ ص ٣٢٣

وفيه: "ومن كلامه رضي الله عنه في إيضاح وحدة الوجود وبيانها على مذهب القوم رضي الله عنهم، وإبطال ما قال أهل الظاهر من إحالة الوحدة وبطلان ما ألزموه لمن قال بها، قال رضي الله عنه: بيانها من وجهين:

الوجه الأوّل: أنّ العالم الكبير كذات الإنسان في التمثيل، فإنّك إذا نظرت إليها وجدتها متّحدة مع اختلاف ما تركبت منه في الصورة والخاصية من شعر وجلد ولحم وعظم وعصب ومعخّ، وكذلك اختلاف جوارحه وطبائعه التي ركبت فيه وبها قيام بنيانه، فإذا فهمت هذا ظهر لك بطلان ما ألزموه من نفي الوحدة

لاستلزام تساوي الشريف والوضيع، واجتماع المتنافيين والضدّين إلى آخر ما قالوه، قلنا: لا يلزم ما ذكروه هنا لأنّه وإن كانت الخواصّ متباعدة فالأصل الجامع لها ذاتٌ واحدةٌ كذات الإنسان سواء بسواء.

الوجه الثاني: اتّحاد ذات العالم في كونه مخلوقاً كلّهُ للخالق الواحد سبحانه وتعالى، وأثراً لأسمائه، فلا يخرج فرد من أفراد العالم عن هذا الحكم وإن اختلفت أنواعه، فالأصل الذي برز منه واحد، فبهذا النظر هو متساو فيلزم اتّحاده وإن اختلفت أجزاؤه كما ذكر في ذات الإنسان، وإمّا تختلف نِسْبُهُ بحسب ما فصلته مشيئة الحقّ فيه من بين شريف ووضيع، وعالٍ وسافل، وذليل وعزيز، وعظيم الشانٍ وحقيره، إلى آخر النّسبِ فيه، ولم تخرجه تفرقة النسب عن وحدة ذاته، كما أنّ ذات الإنسان واحدة، ووحدها لا تنافي اختلاف نِسبِ أجزائها واختصاص كلّ جزء بخاصّيته، فإنّ خاصّيّة اليد غير خاصّيّة الرجل، وخاصّيّة العيون، وهكذا سائر الخواصّ والأعضاء والأجزاء، وأنّ ارتفاع وجهه في غاية الشرف، وانخفاض محلّه في غاية الضعة والإهانة، لم يخرجه عن كون ذاته واحدة مع اختلاف الخواصّ، مثل ما قلنا في ذات الإنسان.

ثمّ قال رضي الله عنه: وزيد وجه ثالث في إيضاحه، وهو اتّحاد وجوده من حيث فيضان الوجود عليه من حضرة الحقّ فيضاً متّحداً، ثمّ تختلف خواصّه وأجزاؤه بحسب ما تفصّل ذلك الوجود. فإنّه يتّحد في عين الجملة ويفترق في حال التفصيل، مثاله في الشاهد مثال المداد، فإنّ الحروف المتفرّقة في المداد، والكلمات المتنوّعة، والمعاني المختلفة التي دلّت عليه صورة المداد لم تخرجه عن وحدة مداديّته،

فإنّه ما نَمَّ إلاّ المداد تصوّر في أشكاله الدالّة على المعاني المختلفة، والحروف المتفرّقة، والخواصّ المتنوّعة غير المؤتلفة ولا المتماثلة. فإنّك إذا نظرت إلى عين تلك الصور التي اختلفت حروفها وكلماتها لم تر إلاّ المداد تجلّى في أشكالها بما هو عين المداد، فتتحد بالمداديّة وتختلف بالصور والأشكال والكلمات والمعاني. فكما أنّ المداد في تلك الحروف عين تلك الحروف، والحروف في ذلك المداد عين ذلك المداد، وهي مختلفة الأشكال والأسرار والخواصّ والمعاني إلى غير ذلك، كذلك نهاية الوجود في ذوات الوجود عين تلك الذوات، وتلك الذوات في ذلك الوجود عين ذلك الوجود، وهي أيضا مختلفة الأشكال والأسرار والخواصّ، فوحدتها في عين ذلك الوجود لم تخرجها عن اختلاف أشكالها وأسرارها ومعانيها وخواصّها، ولا افتراقها بتلك الأسرار والخواصّ والمعاني يخرجها عن وحدتها بذلك الوجود، مثل ما في الحروف والمداد، كما أنّ وحدة المداد لم تخرجها عن اختلاف أشكالها وأسرارها ومعانيها وخواصّها، ولا افتراقها في هذه الأمور يخرجها عن اتّحادها في ذلك المداد. ثمّ قال قدّس الله سرّه العزيز: وقد اتّضح الحقّ لمن فهم، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل". اهـ الجواهر ص ٢٩٧

ردّه على إنكارهم عظيم الفضل الإلهي

وما يتبعه من اجتناء وتبشير

في الجواهر: "وسألته رضي الله عنه عن قوله تعالى: {اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} فأجاب رضي الله عنه بقوله: معنى الاجتناء هو جذب

الله تعالى العبد إلى حضرة قدسه بحُكم الفضل والجود والعناية بلا تَقَدُّم سببٍ من العبد، والمجتبى يُسَمَّى محبوباً ومصطفىً ومراداً ومُعتنىً به، فهذه الأسماء كلها أسماء للمجتبى، وهذا الاجتباء سبق به الحكم الإلهي في الأزل بلا علة ولا سبب، ولذا قيل: "كَمْ من صديق في العبا وكم من عدوٍّ في العبا"، والعبا هو الجهل والضلال والكفر والمخالفة، فهذه الأمور كلها لا تضرُّ لأنَّ العناية كافلة وشاملة له - والعبرة بالخواتيم -، وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم في هند بنت عتبة، وكانت في أعظم العداوة لله ورسوله وأكلت كبدة حمزة رضي الله عنه غيظاً وحقداً، قال: "لا يجتمع كبدة حمزة والنار في جوفها أبداً". (في ذخائر العقبى لأحمد بن عبد الله الطبري: لو دخلت بطنها لم تدخل النار ص ١٨٢)، أخبر صلى الله عليه وسلم بأنَّها سعيدة بأرباح العناية الأزلية ولم يضرَّها ما فعلت. والعبا هي العبادة والتقرب إلى الله تعالى، فَكَمْ فيها لله مِنْ عدوٍّ ويعني في الغيب أنه يموت كافراً، وكذلك ما وقع لعمير بن وهب حين كان قاصداً قَتَلَ النبي صلى الله عليه وسلم وكان من صناديد قريش ومن شياطينهم، فلما رآه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الباب والسيف في عنقه اغتاض ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: هذا عمير بن وهب دعني أقتله فإنه ما جاء لخير وهو الذي حزننا للقوم يوم بدر، قال صلى الله عليه وسلم: دَعُهُ ثم أدخله عليه، قال صلى الله عليه وسلم: ما جاء بك؟ قال له: جئتكم لتحسنوا إليّ في هذا الأسير، وكان ابنه أسيراً، فقال صلى الله عليه وسلم: بل جلست أنت وصفوان بن أمية في الحجر وليس معكما غيركما، ودكَّر له جميع ما تحدَّثا به، إلى أن قال له: وجئت لتقتلني، فقال له عمير: لو كان

معنا ثالث لقلتُ أَخْبِرَكَ بذلك، وأنا الآن أيقنت أنّ خبرك حقٌّ فأشهد أن لا إله إلاّ الله وأنتَ رسولُ الله، وحسُنَ إسلامه، ثمّ رجع إلى مكّة وصار يدعو الناس إلى الإسلام حتّى أسلم معه خَلْقٌ كثيرٌ، ثمّ دام على إسلامه رضي الله عنه. فانظر هذا الاجتباء الذي اجتباه ربّه فما أثر فيه عِظْمُ ذَنْبِهِ ولا ما اقترفه من حُوبَةٍ بل تمكّن من صفاء صفوة النور الإلهي وألْبَسَ حُلَّةَ القرب وصار عبداً خالصاً لله تعالى. قوله تعالى: {مَنْ يَشَاءُ} أي بلا سبب ولا علّة، بل بمحض الفضل والجود. قوله تعالى: {وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ}، أي مَنْ أَنَابَ إلى الله بِصِدْقٍ تَقْوَاهُ ومعاملته لله تعالى بالصفاء هداه إليه حتّى يوصله إلى حضرة قدسه. ولم يذكر الله تعالى في حقّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلاّ الاجتباء". اهـ ص ١٤٧

رُدُّهُ عَلَى ادِّعَائِهِمْ عَلَيْهِ

تفضيل غير الأنبياء عليهم

قال رضي الله عنه: "... في العلم بالله وصفاته وأسمائه وتجلياته وما تشتمل عليه من المنح والمواهب والفيوض فلا مطمع لغير النبيّ أن يزيد على النبيّ في هذا الميدان، فإنّ النبوة أكبر علماً وأوسع دائرة وأعظم إدراكاً فيما ذكرنا، إذ لو كان غير النبيّ في هذا الميدان يلحق درجة النبيّ أو يزيد عليها لساواه في الفضل أو كان أفضل منه. وأمّا فيما دون تلك المرتبة من العلم بمراتب الكون وما يقع فيه جملة وتفصيلاً وتقلّبات أطواره وانكشاف ما سيقع فيه في المستقبل قبل وقته، وهو كشف الغيوب الكونية، فإنّ غير النبيّ قد يزيد على النبيّ في هذا الميدان، وهي

قضية الخضر بعينها. وحقيقة ذلك أنّ بصائر النبيين والمرسلين أبداً تنظر إلى جناب الحقّ شديدة العكوف والدُّؤوبِ عليه، فقلوبهم أبداً تنظر إلى الله لا التفتات لها إلى الأكوان، وكان شدّة نظرها إلى الله أبداً مشتغلةً بتجليّاته لا تلمح بطرفها لغيره، فكلّ واحد منهم لا همّة له ولا عناية إلا بما يبرز من الحضرة الإلهية في كلّ حين وأوان من التجليّات والمنح والمواهب والواردات لتعطي كلّ شيء ممّا ذكرنا حقّها من الآداب ووظائف الخدمة لا تفتّر عن ذلك حتّى لحظة واحدة. فلأجل هذا الاستغراق لا يَلْتَفِتُونَ إلى الأكوان ولا يعلمون ما وقع فيها. وأعظم من ذلك الاشتغال بمحادثة الحقّ لهم في حضرة قدسه. فلا شكّ أنّ من ذاق ذلك لم يقدر أن يلتفت إلى غير الله تعالى حتّى لحظة واحدة. فلأجل هذا لا يعلمون ما وقع في الكون ولا ما تقلّب فيه لاشتغالهم عنه بالله تعالى. وغير الأنبياء لا طاقة لهم على الدوام على هذا الحال، إنّما لهم في أحوال، تارة وتارة، فلأجل ذلك يكثر كشفهم للكون وأموره إذ لا قدرة لهم على الاستغراق على ما فيه الأنبياء، فإذا عرفت هذا عرفت وجه اختصاص الخضر بكشف الغيوب دون موسى عليه الصلاة والسلام لأنّها غيوبٌ كونيّةٌ فلا ينتفي زيادة الخضر فيها على موسى لأنّ موسى شغله عنها ما ذكرنا والخضر لا يقدر على ذلك أيّ على استغراق موسى في حضرة القدس. ومع هذا فلا حجر على الله في ملكه ولا في حكمه أن يزيد غير النبيّ في العلم على درجة النبيّ فإنّه لا تحجير عليه في هذا، يهبّ ما يشاء لمن يشاء كيف يشاء، وله الاختيار التامّ والمشية النافذة، لا تأخذه القيود ولا الضوابط ولا يحيط بعلمه محيط". اهـ ص ١٩٧

ردّه على افتراءهم عليه

وعلى إخوانه من الأولياء ادّعاء تلقّي الوحي مكافحة

قال رضي الله عنه: "وأما السؤال عن المكالمة للعارفين في هذا المقام، ليس يسمعون كلام الذات المقدّسة الذي هو المعنى القائم بها، فإنّ ذلك مستحيل بصريح الآية لقوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ}، ما عدا سيّدنا موسى وسيّدنا محمّداً عليهما الصلاة والسلام سمعا المعنى القائم بذات الله تعالى، وأمّا المكالمة المعلومة للعارفين فإنّه يخلق فيهم كلامه في الروح إذا صارت خفاء أو أخفى أو سرّاً أو غير ذلك من المراتب، يخلق في ذلك المعنى كلاماً يعني في الروح، لا يُشكّ أنّه من الله تعالى. فنسبة ذلك الكلام إلى الله تعالى نسبة الحادث إلى الحادث، ونسبة المخلوق إلى الخالق، لا نسبة الكلام إلى المتكلّم. ويُنسب الكلام إلى الله تعالى في هذا المحلّ لكون ذلك المحلّ في ذلك الوقت لا يتطرّق إليه غلط ولا تخمين ولا فساد ولا غيره من وجوه الخطأ لأنّ الروح في هذا المحلّ يسمّى البيت المحرّم لكونه حرّم على غير الحقّ دخوله. ثمّ إنّ ذلك الكلام عند وروده على العبد فهو محتطّف عن دائرة حسّه وشهوده وعلمه وسمعه وبصره، فلا يعقل إلّا بالحقّ، ولا يُحسّ إلّا بوجود الحقّ ممحوّاً ومحوّقاً عن غيره. يتدلّى له في هذا التجلّي من نور القدس والسرّ السرمديّ من الكلام ما يكون واسطةً بينه وبين المعنى القائم بالذات، ويدرك له من اللذات ما يدركه عند سماع المعنى القائم بالذات العليّة، فيطلق عليه أنّه سمع كلام الله. مثاله في الشاهد مثال النائم، بأنّ يخبر النائم

بالغيوب ويوحِيهَا إليه لا بعين التصريح ولكن بواسطة مثال يلقيه إليه في النوم، فيقول له المعبر في الرؤيا العالم بها: إِنَّ رُؤْيَاكَ تَدَلُّ عَلَى كَذَا وَكَذَا مِنَ الْغَيْبِ أَوْ الْخَبْرِ، فَالْعِلْمُ بِذَلِكَ الْغَيْبِ فِي النَّوْمِ لَمْ يَكُنْ لِلنَّائِمِ بِالتَّصْرِيحِ وَإِنَّمَا جَاءَ بِوَسْطَةِ مِثَالِ أَلْقَاهُ الْحَقَّ إِلَيْهِ، وَأَلْقَى إِلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ بِالْغَيْبِ بِوَسْطَةِ ذَلِكَ الْمِثَالِ مَا أَلْقَى، فَهَكَذَا تِلْكَ الْمَكَامِلَةُ، إِنَّمَا هِيَ وَاسِطَةٌ بَيْنَ الْمَكْلَمِ وَبَيْنَ الْمَعْنَى الْقَائِمِ بِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا الْمَعْبَرُ عَنْهُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ بِالْإِلْهَامِ. فَقَدْ اتَّضَحَ الْجَوَابُ أَمَّ الْإِيضَاحِ وَانْكَشَفَ الْغَطَاءُ، وَلَيْسَ فِي طَاقَةِ الْبَشَرِ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ بِلَا وَاسِطَةٍ إِذْ لَوْ كَلَّمَهُ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ لَصَارَ مُحْضَ الْعَدَمِ، فَجَعَلَ الْحَقُّ لَهُ وَاسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْنَى الْقَائِمِ بِالذَّاتِ الْعَلِيَّةِ يَدْرِكُ مِنْهُ مَعَانِي الْكَلَامِ الْأَرْزَاقِيِّ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أُطْلِقَ عَلَيْهِ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى". اهـ الجواهر ص ٢٧٣

رَدُّهُ عَلَى مَنْ نَسَبَ إِلَيْهِ

النَّهْيُ عَنِ الذِّكْرِ بِالْأَسْمَاءِ الْحَسَنَى

الذي ورد عن الشيخ رضي الله عنه (التَّوَجُّهُ بِالْأَسْمَاءِ) وليس (الذِّكْرُ بِالْأَسْمَاءِ) وكلمة التَّوَجُّهُ مصطلحٌ معروفٌ عند أهلها، وعملُ الشيخ وأهل طريقتِه يبيِّنُ أَنَّهُ لَيْسَ الْمَقْصُودُ الذِّكْرُ، وَلَكِنَّ الْمَفْتَرِينَ لَمْ يَنْتَهَوْا بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّ لَهُمْ كَلَّ ذَلِكَ.

وَمِمَّا أَوْصَى بِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَكَرَ اسْمَهُ تَعَالَى اللَّطِيفِ حِينَ قَالَ: "وَمُلَازِمَةٌ يَا لَطِيفَ أَلْفًا خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ إِنَّ قَدْرَ، وَإِلَّا أَلْفًا فِي الصَّبَاحِ وَأَلْفًا فِي الْمَسَاءِ، فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يَسْرِعُ خِلَاصَهُ مِنْ مَصِيبَتِهِ". اهـ الجواهر ص ٣٥٢

وقال رضي الله عنه: "إنّ الأذكار التي بها زوال الحجاب منها كليات وهي التي تقطع كلّ حجاب عن الروح من أيّ أمر كان، ومنها تفصيلات لا تقطع إلاّ حجاباً من نوع واحد. وأمّا الكليات فهي لا إله إلاّ الله، أو الصلاة عليه صلّى الله عليه وسلّم، أو سبحان الله، أو الحمد لله، أو الله أكبر، أو بسم الله الرحمن الرحيم، أو الله الله الله، والله لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم. وأمّا التفصيلات فهي سائر الأسماء الحسنى". اهـ من الجواهر.

ردّه على من خطّاه

في مسألة دلالة القرآن على كلام الله تعالى

قال رضي الله عنه: "قال سبحانه وتعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} والمراد به القرآن. والقرآن في نفسه قال العلماء، هو دالّ على كلام الله القائم بذاته، يريدون به القرآن المقروء بألسنتنا، يقولون هو دالّ على المعنى القائم بالذات المقدّسة وهو كلام الله، قلنا: هذا إطلاق تسامح وإلاّ فعين الحقيقة تعطي أنّ القرآن المقروء بألسنتنا دالّ على مدلول كلام الله لا عين كلام الله، فإنّ كلام الله في ماهيّته هو المعنى القائم بالذات منطّس مضمّر لا عبارة عنه ولا تدرك له حقيقة ولا تعرف له كلفيّة، فكيف نعبر عنه؟ وحقيقته تابعة لحقيقة وجوده المطلق، وهي الذات المطلقة المقدّسة، فكما لا تعرف حقيقة الذات من حيث ما هي هي كذلك لا تعرف حقيقة الكلام الأزلّي من حيث ما هو هو في عين الذات العليّة، فلا تدرك حقيقته ما لم تدرك حقيقتها، فلا مطمع في درك

حقيقتها بوجه ولا حال لا في الدنيا ولا في الآخرة. قال سبحانه وتعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} فكما بَعُدَ دَرَكُ حَقِيقَةِ ذَاتِهِ الْعَلِيَّةِ كَذَلِكَ بَعُدَ دَرَكُ حَقِيقَةِ الْكَلَامِ الْأَزَلِيِّ كَسَائِرِ الصِّفَاتِ الْعَلِيَّةِ مِنَ الْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْعِلْمِ إِلَى آخِرِ صِفَاتِ الْمَعَانِي كُلِّهَا، حَقَائِقُهَا تَابِعَةٌ لِحَقِيقَةِ وُجُودِ ذَاتِهِ، فَمَا لَمْ تُعَلِّمْ حَقِيقَةَ ذَاتِهِ لَا تُعْرِفْ حَقَائِقُهَا. فالقرآن الذي بأيدينا دالٌّ على مدلولات كلام الله القائم بذاته. قال سبحانه وتعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ}، أي، مدلولات هذا الكلام: الله هو العلم على الذات العلية الواجبة الوجود، وخلق دالٌّ على إنشاء ما بعدها من العدم إلى الوجود، وسبع دالٌّ على العدد المعلوم، والسماوات دالٌّ على القباب المرتفعة فوقنا سبعة، ومن الأرض مثلهنّ دالٌّ على السبع المنبسطة تحتنا وهي معلومة. فالكلام القائم بذاته تعالى {الله الذي خلق الخ}، ومدلولاته هي التي ذكرت فيه. ومعلوم في عين التحقيق أنّ المدلول غير ما دلّ عليه لأنّ الكلام في نفسه معنى قائم بالذات لا يصحّ أن يكون عين أجرام السموات والأرضين، فهي مدلولات فيه، ونُطِّقُنَا بِهَذِهِ الْآيَةِ: {الله الذي خلق الخ} فنطقنا دالٌّ على مدلول الكلام الأزليّ، وهي أجرام السموات والأرضين، فدلّ بهذا أنّ قراءتنا دالّة على مدلول الكلام الأزليّ لا على عين الكلام الأزليّ". اهـ من

الجواهر ص ٤١٦

وقال رضي الله عنه: "إنّ كلمة {كن} برزت من الحقّ في الأزل بلا أوليّة ولا اقتران بزمان أو مكان، إنّما هي كلمة قديمة بقدم ذاته، والوجود الذي نشأ عنها قال له: {كُنْ} يريد في الوقت الذي أردتُك فيه والمكان الذي أردتُك فيه، فإنّ

الأمكنة والأزمنة مختلفة المباني متغايرة المعاني، وبهذا فارق الوجود عين الكلمة، فلا يقال قديم بقدمها ولا حادث بحدوثها لأنّ الزمان والمكان مضمران في قوله لها: {كُن} يريد في الوقت الذي أردتك فيه وفي المكان الذي نشأ عنها. فالكلمة قديمة بقدم ذاته، والوجود الذي نشأ عنها ليس له في القدم مرتبة إلاّ تعيّن في حقيقة العلم الأزليّ من حيث إنّ له أحكاماً سبعة كما قدّمناها في حقيقة الوجود، وهي الصورة والصبغ واللون والمقدار والزمان والمكان والأرزاق، فمن حيث تميّزه في حقيقة العلم بهذه الأمور السبعة نقول: له ضرب من مرتبة القدم من حيث إنّّه متصوّر في العلم بأحكامه السبعة، فهو قديم بقدم العلم، أردنا أنّ العلم به قديم، فإنّ علم الله لا يتأتّى حدوثه، بل هو قديم بقدم ذاته، وكلّ الوجود مصوّر في حقيقة علمه، فلا يقع في الوجود إلاّ ما تصوّره في العلم، ومحال قطعاً أن يقع في الوجود غير ما تُصوّر في العلم. فالحاصل لنا من هذا أنّ الكلمة الإلهيّة، التي هي {كُن} قديمة بقدم ذاته، والوجود البارز عنها حادث بحدوث زمانه ومكانه. ثمّ إنّ حدوث الزمان يطلق عليه الحدوث من حيث إضافته للموجودات لا من حيث إضافته للحقّ". اه الجواهر ص ٤١٧

وقال رضي الله عنه: "لا يتأتّى في شيء واحد أن يقال قديم حادث وإلاّ صحّ

القول بقلب الحقائق، وهو محال". اه الجواهر ص ٤١٨

رُدُّهُ عَلَى تَفْسِيرِهِمْ لِكَلِمَةِ "الْأَسْقَمَ"

بِمَا يَخَالِفُ قَوْلَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال رضي الله عنه في شرحه لجوهرة الكمال: " (الأسقم)، بمعنى الكامل في

الاستقامة بلا اعوجاج". اه الجواهر ص ٤٣٦

رُدُّهُ عَلَى افْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ

أَنَّ الْحَقِيقَةَ الْمَحْمَدِيَّةَ هِيَ الذَّاتُ الْعَلِيَّةُ

قال رضي الله عنه خلال شرحه للصلاة الغيبية: " (اللهم صلّ وسلّم على عين

ذاتك العلية)، يعني أنّ الحقّ سبحانه وتعالى تجلّى بكمال ذاته الذاتية في الحقيقة

المحمدية، فهو لها أيّ للذات العلية، كالمراة تتراءى فيها، فبهذه الحثية وبهذه النسبة

كانت الحقيقة المحمدية كأثما عين الذات، ولم يكن هذا التجلي في الوجود لأحد

من خلقه إلاّ له صلّى الله عليه وسلّم، فبهذه النسبة كان صلّى الله عليه وسلّم عين

الذات لا أنّه حقيقتها، لكن بالنسبة التي ذكرناها، ولو كان هو عين الذات لعبد،

وهذا لا يتأتى، بل هو مخلوق، وقد سجّل عليه سبحانه وتعالى بالعبودية حيث

قال عزّ وجلّ: { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ }، وبقوله: { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي

رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا }". اه من الجواهر ص ٤٤٠

ردّه على من نسب إليه أنّه

أمر أهل طريقته بمقاطعة المسلمين

المشاهد من فعله رضي الله عنه وفعل أصحابه، واشترط المحافظة على الأمور الشرعية يُبطل هذا الاتّهام الجائر.

قال رضي الله عنه في الوصايا: "... وتترك المقاطعة مع جميع الخلق، وأكد ذلك بينكم وبين الإخوان، وزوروا في الله وواصلوا في الله وأطعموا في الله ما استطعتم في غير تعسير ولا كد". اه من الجواهر.

براءة الطريقة التجانية
من كل ما يخالف الشريعة
(خطاب العارف بالله)

الشيخ محمد الحافظ التجاني رضي الله عنه

وقصدتُ إثباته هنا لأنه - كما ذكر شيخنا الشريف إبراهيم صالح الحسيني رضي الله عنه - يترجم عن جميع التجانيين ومكتوبٌ على لسانهم وفيه البراءة من تلك الافتراءات التي يسوقها هؤلاء الأفاكون.

وقد نشرته مجلة الفتح الصادرة في القاهرة العدد ٤١٨ بتاريخ: الخميس ١٦ رجب ١٣٥٣هـ قال رضي الله عنه وأرضاه: "بعد الحمد والصلاة والسلام على رسول الله إني أعلن أننا لا نعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً مما أُمرَ بتبليغه، ومستحيل أن يُؤمرَ بتبليغ ورد أو صلاة الفاتح أو غيرها أو بيان فضلها فيكتم شيئاً من ذلك، ومن اعتقد ذلك فهو كافر بالله ورسوله لا يُقبل منه صرف ولا عدل، ولا أدري كيف يُعقل أن يكون قد كتم الورد وهو الاستغفار والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بأي صيغة ولا إله إلا الله.

وصلاة الفاتح موجودة قبل الشيخ رضي الله عنه مشهورة فلا يصح بحال كوثها ادُّخِرَتْ له، ولم يثبت ذلك عنه.

ولا نعتقد أن هنالك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تشريعاً بأي وجه من الوجوه، وما جاء به صلى الله عليه وسلم مستحيل أن يُنسخ شيء منه أو يُزاد شيء عليه، ومن زعم ذلك فهو كافر خارج عن الإسلام.

وإننا وإن قلنا بجواز أن يرى الوليُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في اليقظة إلا أننا نعتبر حكمها حكمَ رؤيةِ النومِ الصحيحةِ سواءً بسواء، ولا يعوّل فيها إلا على ما وافق شرعَه صلى الله عليه وسلم، وليست مشاهدُ الأولياءِ بحجّةٍ وإنما الحجّةُ هي الشريعةُ المحمدية. أمّا تلك فمبشّرات مقيّدة بشرعه الشريف ما قبله منها قبلناه وما لم يقبله فمذهبننا فيه حسن الظن فنحكم عليها حكم الرؤيا المؤوّلة، ولا نشكُّ أن معظم الرؤيا يحتاج إلى التأويل، وإنما رجّحنا حسن الظن لأن المؤمن الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شحيح بدينه حريص على متابعتة نستبعد عليه أن يتعمّد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، - واليقظة في ذلك كالنوم - وهو يقرأ قوله عليه الصلاة والسلام: "من كذب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار". ولا نخصُّ واحداً من الصالحين بذلك بل هو عندنا عامٌّ في كل ما ينقل عنهم، وكم نُقل عن الشيوخ من الموهّمات والشطحات سواء في ذلك طريقة مولانا الشيخ عبد القادر وغيرها، وقد اعتذر لهم العلماء وردّوا الوجه المخالف.

... ولا نعتقد أن مجرد رؤية أحد من الصالحين كافية في نجات المرء وإنما ينجيه الإيمان والعمل الصالح {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى}.

ونرى أن الاجتماع بالصالحين مع صدق المحبة يجر إلى الصلاح غالباً ولذلك
حث الشرع على صحبتهم وبيّن أنها من أسباب التوبة، وحديث الذي قتل تسعاً
وتسعين نفساً ثم طلب التوبة فدلّه حبرٌ على بعض الصالحين ليصحبهم فأدركه
الموت قبل أن يصل إليهم فرحمه الله وقبله، ثابتٌ في الصحيح. وحديث الجليس
الصالح كذلك.

ونعتقد أن من أعظم الكفر أن يعتقد أحد أن صلاة الفاتح أو غيرها من
الصلوات عليه صلى الله عليه وسلم تعادل في الفضل أئمةً آيةً من القرآن، فكيف
تفضلها؟! فكيف بسورة؟! فكيف به كله؟! ولا نعتقد أنها من القرآن كما زعم
من زعم، ولا من الحديث القدسي ولا من أي قسم من وحي النبوة، فإن ذلك قد
انقطع بلحوقه صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى. والمذكور عندنا أنها من الإلهام
الثابت للأولياء، ولا نعتقد أنها تساوي الكلمة الشريفة "لا إله إلا الله".

وحاشا الشيخ أن يقول بنسخ الذكر بالأسماء فذلك باطل، فنحن ولله الحمد
نذكر الله عز وجل بأسمائه ونحافظ على التسييح والتحميد وقيام الليل وسائر
النوافل والأذكار الواردة في الشريعة ونحث عليها.

ولا نعتقد أن مجرد أخذ الورد يُدخلُ أحداً الجنة بحسابٍ أو بغير حساب فإن
شرطه المحافظة على الأوامر الشرعية كلّها علماً وعملاً. وما هو الورد: استغفار
وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا إله إلا الله بعد القيام بالواجبات التي
أوجبها الله تبارك وتعالى.

ولا نعتقد أن الشيخ التجاني ولا أحداً من غير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغ مرتبة أصحابه صلى الله عليه وسلم، فكيف بالأنبياء عليهم السلام فكيف بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم؟ والولي مهما سمت رتبته مستحيل أن يبلغ في العلوم الإلهية مبلغ أيِّ نبيٍّ، ومن زعم ذلك فهو ضالٌّ مُضِلٌّ. ونعتقد أنَّ من الضلال أن يأمن العبد مكر الله تبارك وتعالى مهما توالى عليه المبشّرات، ومن اتَّكل على عمله أو نسبته إلى أي شخص وترك العمل فذلك آية الخسران المبين والعياذ بالله تعالى.

ونعتقد أنَّ من أشنع الشرك أن يعتقد أحد أن لأي أحدٍ كان مع الله تصرفاً، أو من دونه سبحانه وتعالى. وإنما نقول إن العبد قد يصل إلى مكانة من المحبوبة لدى ربه عز وجل بحيث يتصرف الحقُّ فيه فيربط على قلبه فلا يسأله إلا ما سبقت به إرادته الأزلية سبحانه، وهذا الذي نفهمه في قوله صلى الله عليه وسلم: "إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره" وفي الحديث القدسي: "وإن سألتني لأعطينه" وهذا غالباً، وإلا فقد يسأل ربّه عز وجل ولا يعطيه لأن ما شاء الله كان لا ما شاء غيره.

ونعتقد أن الله سبحانه لا يأمر بالفحشاء ولا الظلم ولا الكفر وإن كان لا يقع في ملكه إلا ما يريد، وأن الكفار أعداء الله كما قال سبحانه {إن الله لا يحب الكافرين} وإن كان وجودهم وعذابهم مراداً له سبحانه، وحاشا أن يكون عذابهم عبثاً إنما هو عين العدل والحكمة، وأنهم قد حق عليهم قوله عز وجل {وأولئك يؤسوا من رحمتي} {خالدين فيها أبداً لا يخفف عنهم من عذابها} فعذاب الكفر

لا يَخْفَى، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}.

ولا تجب العصمة إلا لنبي، أما الأولياء فتجوز عليهم المعاصي كلها، وقد يحفظ الله من شاء من المعصية منهم، ولا يجب ذلك في حق غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وأن من اعتقد في الله عز وجل حلولاً أو اتحاداً أو اعتقد أن مخلوقاً هو ذات الله أو فيه صفة من صفاته أو شَبَّهه بخلقه أو شَبَّه خلقه به أو أنكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة أو أوله إلى صورة تخالفه كمن يقول بتناسخ الأرواح ويزعم أنه البعث، أو اتَّبَعَ رأياً من آراء المبتدعة فهو ضالٌّ مضلٌّ.

وخلاصة عقيدتنا في الأصول ما عليه السلف الصالح والخلف من أهل السنة والجماعة من الفقهاء والمحدِّثين والصوفية وما عليه الأئمة الأربعة مالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل وأصحابهم في الفروع. ونسلم للسادة الصوفية قاطبة مع وزن أقوالهم وأعمالهم وأحوالهم بالشرعية، فما وافقها أقرناه وما كان يَحْتَمِلُ الموافقة والمخالفة حسناً للظنِّ فيهم وحملنا حالهم على الوجه الموافق ووكلنا أمرهم إلى الله العليم بما في القلوب، وقد نُقِلت عنهم شطحات لا يُتَابَعُونَ عليها ولا يُقْتَدَى بهم فيها. وما لا يحتمل رددناه فإنه لا نبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تشريع، ومن أوجب العصمة لأحد بعده فهو من المبتدعة الضالِّين، ولا نصنع كما يصنع أهل البدع والأهواء يؤوِّلون كلام الله عزَّ وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم لكلام زعمائهم فيجعلون كلامهم أصلاً ويردُّون إليه الكتاب

والسنة، وإثماً الأصل عندنا الكتاب والسنة، وكل ما أوهم خلافهما من كلام العارفين وإن وُجد في كتبنا فهو مؤوّل لا يَحْمِلُ الوجه المخالف لهما. وقد دُسَّ على الأنبياء والصالحين وكُذِبَ عليهم أو أساء الناس فهمَ كلامهم، - حتى من أصحابهم - فنقلوه محرّفاً وقد حدّثوا من ذلك. وقد رأينا السلف الصالح من العلماء يتشبتون ولا يسارعون بالتكفير والتضليل، وقد سئل الشيخ التجاني: هل يُكذَّب عليك؟ قال: "نعم، إذا سمعتم عني شيئاً فزنوه بميزان الشرع فما وافق فاعملوا به وما خالف فاتركوه".

وإني لعلّي يقين أنّ كلّ تجانيّ يبرأ إلى الله عز وجل من جميع تلك العقائد الزائغة وأمثالها، ولولا الأغراض الشخصية والخصومات لما اتُّهم أحد من أهل الطريقة بذلك فقد برّاهم الله منها حتى عوامّهم. فكيف بمثل الرجل الفاضل الذي له اليد الطولى في خدمة الإسلام خدمةً يشهد لها خصومه؟ وما من فرد في هذه الطريقة كبيراً كان أو صغيراً إلا وهو يعلن براءته من تلك الأباطيل.

وقد تلقينا عن مشايخ هذه الطريق - وهو المنصوص عليه عن صاحبها نفسه - أن كل ما ينسب إلى الشيخ بفرض صحة نسبته إليه سواءً وُجد في كتبه أو لم يوجد وكان ظاهره مخالفاً لنصّ الكتاب أو السنة أو إجماع الأمة المحمدية فهو مؤوّل ويحرّم الأخذ بظاهره، ويجب حمله على وجه يلتئم مع الشريعة، وقد قام علماء الطريق ببيان تأويله الموافق للشريعة حتى لا يضلّ أحد بحمله على الوجه المخالف. وما لم تصح نسبته إليه فلا يُعوّل على شيء منه بحال.

وقد بلغنا أن بعض خلفاء الطريق أحرق بعض ما ينسب للشيخ من الفضائل المختلقة التي تتنافى مع السنة المحمدية، وأمر بإحراقها حيثما وجدت. وهل من منصف يستطيع أن يبين لنا معنى لتتبع تلك الموهومات - حتى كأنه ليس في الطريق غيرها مع أنه لا خلاف بين أهل الطريق في أنها مؤولة - وترك الصريح البين من الدعوة إلى الله عز وجل والعمل بالكتاب والسنة والتمسك الشديد بهما وهو الذي عليه العمل وحدّه عند كل فرد من أهل الطريقة؟ وحيث إن تلك العقائد المخالفة بحذافيرها لا خلاف بيننا في بطلانها ونحن متفقون على البراءة من كل من يعتقدونها كلها أو بعضها، فلم تبق إلا الخلافات الشخصية وليست خلافاً جوهرياً؛ فإن كان هذا النكير غيراً على الدين حقيقة فلا يوجد أحد - فيما نعلم - يعتقد تلك العقائد من التجانيين فهو جهاد في غير عدو. ومن نسب إلى الطريقة التجانية أية عقيدة من تلك العقائد أو غيرها مما ينافي العقيدة الإسلامية فهو كاذب. وصح عنه صلى الله عليه وسلم: "ما أكفر رجلٌ رجلاً إلا باء أحدهما بما إن كان كافراً وإلا يكفر بتكفيره". أما موالاته أعداء الإسلام فقد حرّمها الله عز وجل فلا ريب أن كل داع إلى الله حقاً يبرأ منها، وإن صح أن أحداً من أهل الطريق والاهم والعياذ بالله فالتبعية لملقاة على عاتقه وهو إذ ذاك مخالف للشيخ صاحب الطريق ولأصول الصوفية وأهل الدين كلّهم، ومن أقر موالاته لهم فهو شريك له.

وإننا ندعو المسلمين قاطبة إلى التمسك بالحق والسعي لتقوية الرابطة الدينية وإزالة أسباب الخلاف بينهم بالحسنى ومن لم يستطع منا أن يعلن عداؤه لأعداء الله عز وجل فلا أقل من أن يتقي الله فلا يعينهم على إذلال المسلمين.

وإني أختتم كلمتي بأن أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّق من العلماء أهل الدين
من يكون رسول سلام بين الأُمّة فيجمع كلمتها ويوجّهها إلى سبيل التضحية لله
ولدينه فنعمل تحت راية الحق جميعاً جنباً لجنب.
وتفضل أيها السيد بقبول تحياتي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الزاوية التجانية . مصر

محمد الحافظ التجاني

هل نحن معاشر الإخوة من مقدّمين ومريدين

ملتزمون بوصايا الشيخ رضي الله عنه؟

يجب على كلّ واحدٍ منا أن يسائل نفسه ويراجعها هل هو ملتزمٌ بوصايا الشيخ رضي الله عنه؟ ففي فهم وصاياه والالتزام بها حلٌّ لجميع المشاكل المتعلّقة بسيرنا وطريقتنا ووجدتنا، ولا بدّ من الاطّلاع عليها فهي كنز ثمينٌ لكل من أراد الخير لنفسه وإخوته. وقد اخترتُ منها هذه الوصيّة الجامعة ليدرسها كلّ واحدٍ منا وينصح نفسه من خلالها، فأمرُ الشيخ كلّهُ جدُّ لا هزلٌ فيه ولن ينجح فيه إلا الصّادقُ في العبوديّة والالتزام والاتباع، وإليك الوصيّة:

جاء في الجواهر: ومّا كتب به إلى فقراء فاس - صانهم الله من كلّ باس - ونصّه: "بسم الله الرحمن الرحيم، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم، بعد حمد الله جلّ ثناؤه وتقدّست صفاته وأسماءه، يصلُّ الكتاب إلى كافّة إخواننا فقراء فاس وما بإزائها، حفظ الله جميعكم من جميع المحن ومن معضلات الفتن آمين. السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته تعمُّكم وتعمّ أحوالكم من محبّكم أحمد بن محمّد التجاني، وبعد: أوصيكم - ونفسي - بما أوصاكم الله به وأمركم به من حفظ الحدود ومراعاة الأمر الإلهيّ على حسب جهديكم واستطاعتكم، فإنّ هذا زمانٌ انهدمت فيه قواعد الأمر الإلهيّ جملة وتفصيلاً، وانهمك الناس في ما يضرّهم دنيا وأخرى بحيث أن لا رجوعَ ولا يقظةً لما يردُّ القلوب إلى الله والوقوف عند حدود الله أمراً ونهياً، ولا طاقةً لأحد بتوفية أمر الله من كلّ وجه في هذا الوقت إلاّ

لِمَن لبس حُلَّة المعرفة بالله تعالى أو قاربها. ولكن حيث كان الأمر كما ذُكر، ولم يجد العبد مصرفاً عمّا أقامه الله فيه، فالأبقع خير من الأسود كلّهُ، فاتركوا مخالفة أمر الله ما استطعتم وقوموا بأمره على حسب الطاقة واجعلوا لأنفسكم عِدَّةً من مكفّرات الذنوب في كلّ يوم وليلة، وهي أمور كثيرة، كتبنا لكم منها في الوصيّة الأولى نبذة كافية ... وأدبوا الصلوات المفروضة في الجماعات بالمحافظة فإنّها متكفّلة بالعصمة من جميع المهلكات إلّا في نبد قليلة توجب العقوبات، وأنّ الله سبحانه وتعالى للمدوام عليها عنايةً عظيمة، فكَمّ يجبر له من كسرة، وكَمّ يستر له من عورة، وكَمّ يعفو له عن زلّة، وكَمّ يأخذ له بيديه في كلّ كبوة. وعليكم بالمحافظة على ذكر الله والصلاة على نبيّه صلّى الله عليه وسلّم ليلاً ونهاراً على حسب الاستطاعة وعلى قدر ما يعطيه الوقت والطاقة من غير إفراط ولا تفريط، واقصدوا بذلك التعظيم والإجلال لله سبحانه وتعالى ولرسوله صلّى الله عليه وسلّم، طلباً لمرضاة الله لا لطلب حظّ، فإنّ للعامل بذلك عنايةً من الله عظيمة يجد بركتها في العاجل والآجل، ويجد حلاوة في لذتها فيما هو له أمل، وهي في الخواصّ والأسرار كالمحافظة على الصلوات في الجماعات سواء بسواء.

وعليكم بالمحافظة على الصدقات في كلّ يوم وليلة إن استطعتم ولو فلَسَ نحاس أو لقمة واحدة بعد المحافظة على أداء المفروضات الماليّة، فإنّ عناية الله تعالى بالعامل في ذلك قريب من محافظة المفروضات في الجماعات. وليكن من جملة أوادكم التي تحافظون عليها، بعد الورد الذي هو لازم الطريقة، الحزب السيفيّ و صلاة الفاتح لما أغلق، فإنّهما يغنيان عن جميع الأوراد، ويبلغان بفضل الله غاية

المراد، ولا يفِي بقدرهما عمل. وعليكم بِصِلَةِ الأرحام من كلِّ ما يُطَيِّب القلب ويوجب المحبَّة ولو بتفقد الحال وإلقاء السلام، وتجنَّبوا معاداة الأرحام وعقوق الوالدين وكلِّ ما يوجب الضغينة في قلوب الإخوان، وتجنَّبوا البحث عن عورات المسلمين، فإنَّ مَنْ تتبَّع ذلك فضح الله عورته وهتك عورة بَنِيهِ مِنْ بعده، وأكثرُوا العفو عن الزلل والصفح عن الخلل لكلِّ مؤمن، وأكد ذلك لِمَنْ آخاكم في الطريقة، فإنَّ مَنْ عفا عن زلَّة عفا الله له عن زلَّات كثيرة، ومَنْ وقع فيكم بزلة ثمَّ جاءكم معتذراً فاقبلوا عذره وسامحوه لكي يقبل الله أَعذاركم ويسامحكم في زلَّاتكم، فإنَّ أشرَّ الإخوان عند الله مَنْ لا يقبل عذراً ولا يُقيل عثرة. وتأملوا قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾ (آل عمران) وعليكم بالغفلة عن شرِّ الناس وعدم المبالاة بما يجري منهم من شرور، وعليكم بالصفح والتجاوز عنهم، فإنَّ مناقشة الناس عمَّا يبدو منهم وعدم العفو عنهم يوجب للعبد عند الله البوار في الدنيا والآخرة. وكلَّما دنوت بمقابلة شرٍّ بمثله تزايدت الشرور وتنكسر بالعبد قوائمه في جميع الأمور، فلا مقابلة للشرِّ إلَّا الغفلة والعفو والمسامحة. وعليكم بعدم الاعتراض على الناس فيما أقامهم الله فيه ممَّا ليس بمحمود شرعاً ولا طبعاً، فإنَّ أمورهم تجري على المشيئة الإلهية، فَهُمْ مقبوضون في قبضة الله لا محيد لهم عن حكمه، وجميع أمورهم تصدر عن قضائه وقدره، إلَّا ما أوجب الشرع القيام به عليكم أمراً وزجراً بحسب العوارض والنائبات في بعض الأزمان لا كلِّ الأزمان،

وقفوا عند قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اتْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ وَرَأَيْتَ أَمْرًا لَا يَدَانَ لَكَ بِهِ فَعَلَيْكَ حُوصِيصَةٌ نَفْسِكَ". (أبو داود والترمذي وابن ماجه وهذا لفظه)، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ".

وعليكم بمناصحة إخوانكم في الطريقة برفق ولين وسياسة من غير ضغينة ولا حقد. وليجعل كل واحد منكم وقتاً يذكر الله تعالى فيه في خلوة، أقل ذلك عددُ الورد الذي هو لازم الطريقة، فإنَّ العامل بذلك يجد بركته في جميع مآربه وتصرفاته. وعليكم بطاعة المقدم في إعطاء الورد مهما أمركم بمعروف أو نهاكم عن منكر أو سعى في إصلاح ذات بينكم، وعليكم بملازمة الوظيفة المعلومة لمن استطاع صباحاً ومساءً وإلا مرةً واحدة في الصباح أو المساء فإنَّها تكفي، ... وأوصي من كان مقدماً على إعطاء الورد أن يعفو للإخوان عن الزلل، وأن ييسر رداء عفوه على كل خلل، وأن يجتنب ما يوجب في قلوبهم ضغينة أو شيناً أو حقدًا، وأن يسعى في إصلاح ذات بينهم ...، وإن اشتعلت نار بينهم سارع في إطفائها، وليكن سعيه في ذلك في مرضاة الله لا الحِظِّ زائد على ذلك، وأن ينهى من رآه يسعى في النميمة بينهم، وأن يزرجه برفق وكلام لين، وعليه أن يعاملهم بالرفق والتيسير والبعد عن التنفير والتعسير في كل ما يأمرهم به وينهاهم عنه من حقوق الله وحقوق الإخوان، ويراعي في ذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَسِّرُوا وَلَا تَعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تَنْفَرُوا". (متفق عليه). وعليه أن يتباعد عن تعزيم دنياهم وأن لا يلتفت لما في أيديهم، معتقداً أن الله تعالى هو المعطي والمانع، والخافض والرافع، وليجعل همته في

تحرير دنياهم فيما في أيديهم من التشثيت والتبذير وأن لا يطلبهم بإعطاء شيء لا من القليل ولا من الكثير إلا ما سمحت أنفسهم ببذله من غير طلب، فإنّ عقول الناس حول هذا المطاف تدور وعلى هذا المقدار تجري بهم جميع الأمور. وسلّموا للعامة وولاة الأمر ما أقامهم الله فيه من غير تعرّض لمنافرة أو تبغيض أو تنكير فإنّ الله هو الذي أقام خلقه في ما أراد ولا قدرة لأحد أن يُخرج الخلق عمّا أقامهم الله فيه، واتركوا التعرّض للرياسة وأسبابها فأثّما كعبة تطوف بها جميع الشرور، وهي مقرّ الهلاك في الدنيا والآخرة. ومن ابتلي منكم بمصيبة، أو نزلت به من الشرور نائبة فليصبر بانتظار الفرج من الله فإنّ كلّ شدّة لا بدّ لها من غاية وكلّ كرب لا بدّ له من فرج، وإنّ ضاق به الحال فعليه بالتضرّع والابتهاال حتّى يبلغ بالفرج من الله غاية الآمال، ولا تجزعوا من المصائب والبليّات فإنّ الله سبحانه وتعالى ما أنزل العباد في دار الدنيا إلاّ لتصاريف الأحكام الإلهية والأقدار الربانية ممّا تضيق به النفوس من أجل البلاء والبؤس ولم يجد العباد مصرفاً عن هذا ولا إمكان للعبد من التمكن من دوام الراحة من كلّ بلاء في الدنيا، بل على العاقل أن يعلم أنّ أحوال الدنيا أبداً متعاقبة بين ساعات انقباض وانبساط، وخيرات وشرور، وأفراح وأحزان، لا يخرج أحد ممّن سكن الدنيا عن هذا المقدار، فإن نزلت مصيبة أو ضاقت نائبة فليعلم أنّ لها وقتاً تنتهي إليه ثمّ يعقبها الفرح والسرور، فإنّ من عقل هذا عن الله في تصريف دنياه تلقى كلّ مصيبة بالصبر والرضا بالقضاء والشكر التام على النعماء، والسلام عليكم ورحمة الله". اهـ من الجواهر مع يسير من التصرف.

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٢	تقديم
٣	مجمل اعتراضات المنكرين
	مجموعة من كتب الردود على المنكرين مرتبة على معجم
٤	السادة المؤلفين
١٦	الرد عليهم من خلال كلام الشيخ رضى الله عنه
١٧	رده على بهتانهم بتفضيله صلاة الفاتح على القرآن الكريم
٢١	رده على من اتهمه بالابتداع وعدم الاتباع
	رده على على من افترى عليه بأنه يعتبر طريقته مبطله لبقية
٢٤	الطرق وأنه يتعالى على ساداتنا المشايخ
	رده على من نسب إليه أن أهل طريقته مبشرون بدخول
٢٤	الجنة بلا قيد أو شرط
	رده على اتهامه بالقول بكتمان صاحب الشريعة لبعض
٢٥	الأمر
٢٦	رده على من يتهمه بتفضيل ورده على الفرائض
	رده على من يتهمه بتفضيل نفسه على الصحابة رضى الله
٢٦	عنهم

٢٧	رده على دعوى الأفاكين بأنه يدعو أتباعه لعبادته
٣١	رده على تحريفهم لما يعنيه بالرحمة المنسوبة للكفار
٣٥	رده افتراءهم عليه القول بالحلول والاتحاد أو وحدة الوجود
	ردّه على إنكارهم عظيم الفضل الإلهي وما يتبعه من اجتناء
٤٦	وتبشير
٤٨	رده على ادّعائهم عليه بتفضيل غير الأنبياء عليهم
	رده على افتراءهم عليه وعلى إخوانه من الأولياء تلقي
٥٠	الوحي مكافحة
٥٢	رده على من نسب إليه النهي عن الذكر بالأسماء الحسنی
	رده على من خطّاه في مسألة دلالة القرآن على مدلول
٥٢	الكلام القديم
٥٥	رده على تفسيرهم كلمة (الأسقم) بما يخالف قوله
٥٥	رده على افتراءهم عليه أنّ الحقيقة المحمّديّة هي الذات العليّة
	رده على من نسب إليه أنّه أمر أهل طريقته بمقاطعة
٥٦	المسلمين
	رسالة (براءة التّجانيّة من كل ما يخالف الشّريعة) للشيخ
٥٧	محمد الحافظ التّجانيّ رضي الله عنه
٦٥	هل نحن ملتزمون بوصايا الشّيخ رضي الله عنه؟